الأعمال الشعرية الكاملة



الأعمال الشعرية الكاملة

الكتاب: **الأعمال الكاملة**

المؤلف: عبداللطيف خطاب

شعر

الناشر:

جدار للثقافة والنشر | مالمو، الإسكندرية

info@jidar.net | www.jidar.net

الطبعة الأولى 2024

الترقيم الدولي: **978-1-326-21411-1**

التصميم الداخلي والغلاف: جدار للحلول المستدامة

THE COMPLETE POEMS

By: Abdul Latif Khatab

Poetry

Publisher: Jidar for Culture & Publishing

.Interior and Cover Design: Jidar for Sustainable Solutions

ISBN: 978-1-326-21411-1

سلسلة الأعمال الشعرية

قصيدة النثر العربية

جدار للثقافة والنشر

عبداللطيف خطَّاب

الأعمال الشعرية الكاملة

شِعر

المحتوى

فتوحات عبداللطيف خطّاب الشعريّة

يتنازع الشعراءُ العرب حول أولوية الاختراق للأشكال الشعرية النمطية، موروثهم الجمعي كخِطاب قارّ يأتي من يحاول اختراقه على الدوام، الاختراق الذي يكون من خلال هدم جزء من الأنماط الشعرية السائدة لا أكثر، ثم تتراكم المحاولات. إن هذا الفعل للتجديد لا يكون إلا اختراقاً بسيطاً، لأنه جزئي، وما يجعله مُلاحظاً ليس أكثر من «أثر الفراشة» التي لا يمكن الشعور بقوتها إلا بعد آلاف الكيلومترات من موقع بدء رفرفة أجنحتها الهشّة.

جاءت أولى هذه المحاولات الحقيقية على يد أبي تمام بقضية عمود الشعر على مستوى المضمون، ثم تلته الاختراقات على مستوى الشكل، لا أكثر؛ كالمعارضات والرباعيات والخماسيات والموشحات الأندلسية وغيرها، ثم جاء شعر التفعيلة متخلصاً من الجزء الخاص بالقافية، مبقياً على التفعيلات، لتدور رحى المعارك الأدبية حول أولوية كتّاب نصوص هذا الاختراق، والذي تمَّتْ مقاومته على الدوام، على الرغم من أنه لم يكن في حقيقته سوى إعادة ترتيب للتفعيلات في كل شطر، أو مقطع شعري واحد، حتى إن بعض القصائد يمكن إعادة كتابتها بشكل عمودي.

ثم جاء الاختراق الأكبر للشكل الشعري العربي مع مجيء شعراء قصيدة النثر، لكنه بقي ناقصاً، فالمضامين لم تزل كما هي، في غالب النصوص، والوعي لدى شعراء هذه القصيدة لا يزال وعيّاً سياقياً لم يتخلص من حوار الشعر العربي الأزلي مع أفق الخطاب الجمعي، حتى جاء عبداللطيف خطّاب، ليكتب النّص الذي يحمل هويّته داخله، مستغنياً عن تاريخ من العلامات المتراكمة طيلة خمسة عشر قرناً، ومعلناً نهاية تراكم الشعرية العربية في خطاب شعري جديد يرفض الاختزالات التي تتكئ على سياق تاريخي، من الكتابة ابتداءً للشعر لدى منتجيه، أو من القراءة لدى مستهلكيه ممن يسعون للتعرّف على النص الجديد من خلال الذاكرة لا من خلال هويّة جديدة تحمل جوهر وجودها في داخلها.

ويعود تاريخ نشر أول نصوص عبداللطيف خطّاب «موت الشاعر» إلى عام 1980؛ ليكون هو الفتحُ الأول بعلامة كاملة في الشعر العربي؛ من خلال اختراقه الباختيني لثنائية الشكل والمضمون العقيمة، حيث يرى باختين أن للتلفّظ طبيعة حاملة للغة جديدة، حيث «يمكن للتّلفظ أن يصبح، بل ينبغي أن يصبح، موضوعاً لاستعلام على لغةٍ جديدة سيدعوه باختين علم ’عبر اللسان‘، ويمكن بهذه الطريقة التغلب على ثنائية الشكل والمضمون العقيمة، كما يمكن للتحليل الشكلي للأيدولوجيات أن يبدأ». وهذا ما يشبه ما يذهب إليه إدموند هوسرل حين يشير إلى أن المعنى ليس معطىً جاهزاً، ولكنه صيرورة تتغذى بالمتاح المعرفي والنفسي والثقافي، وحتى التاريخي، وهو ما يتجلى في ديوان عبداللطيف

خطّاب الثاني؛ «الغُرنوقُ الدّنف»، والذي يُنشر عبر دار جدار للثقافة والنشر لأول مرّة.

لقد وضع عبداللطيف خطّاب «الموروث الشعري العربي» بين مزدوجين، بحسب ظاهراتية إدموند هوسرل، ليعلّق الحكم على ذلك الموروث، ويكتب قصيدته الخاصة متجاوزاً التنظيرات النقدية، تلك القديمة التي أطّرت القصيدة العربية، أو هذه الحديثة التي، في سبيل تحرير القصيدة، وضعت لقصيدة النثر أطراً جديدة، لكنّ خطّاب يتجاوز كلّ هذا، فيبدأ ديوانه، الغرنوق الدّنف، بنص «طريح الكتابة»: «**داهمتني الكتابَةُ مثلَ حَشدٍ وَديعٍ، واصطفتني كَرَبٍّ شَرِس،/ داعبتني النصوصُ وأذبلتني، ها أنا طريحُ الكتابةِ والهوس والمهرجانِ اللذيذِ**»، كإعلان مبدئي، من خلال ما توحي به لفظة الربوبية من رغبة في الخلق الفنّي على غير مثال سابق، وما توحي به من قبوله الدخول إلى الاحتفالية العامة، واعياً بها لتجاوزها، لا للرضوخ لها: «**من يبتغي سرَّ الفصاحةِ، فليهاجرْ صوبَ ربّي، وليعالِجْ/ بالطواغيتِ الجليلةِ، ملائكةً مشردينَ، وعاطلينْ**»، فالفصاحة لدى عبداللطيف خطّاب هي العودة إلى المنبع، لا إلى ما رشح منه منذ أول قصيدة عربية، بل إلى ما يمكن أن يكون مصدر أول قصيدة تتجاوز الإرث، ذلك الذي كرسته الطواغيت، المحاطة بجلال التنظير والاحتكار وإدارة الذائقة، في سبيل جعل عمليات الخلق الفني بعدهم مجرد تكرار، لا روح ملائكية فيه لأنها كلما اقترفت فعلاً للتجديد وجدت نفسها خارج دائرة الاحتفاء والتقدير.

ولعل أهم ما قدمه عبداللطيف خطّاب من خلال منجزه الشعري الممتد لأكثر من ربع قرن، منذ العام 1980م الذي كتب فيه أول نصوصه وحتى 2006م الذي توفّي فيه، هو ما يبرز في شعره من تنقيب خارج المعنى، ذلك البحث المحموم عن أفق مختلف عن الخِطاب المكرّس على الدوام: «**أفعالُنا تأبى علينا أن نساوم بالذِّكرى،/ نحنُ انبعاثُ الموتِ والقيثارِ،/ ندوِّن الأشعارَ بالسِّفْرِ المضمَّخِ/ بالضحايا،/ ما كنَّا لنأبى أن يُقَيِّضَ ربُّنا منَّا رسولاً،/ كي يخْلِفَ الباطن**»، فتتقاطع لديه القصيدة الجديدة بأسفار الرسالات السماوية، ويغدو لديه الانبعاث من الموت فعلاً موازياً للولادة الجديدة، والضحايا ضرورة لصيرورة جديدة تشبه انبعاث نبي يبشر بتغيير جوهري في محيطه الراكد. وهو في سبيل ذلك يقلب الصورة رأساً على عقب، فمن خلال خطابه لابن ماجد في نصّ «العشائر» يفاجئنا عبداللطيف خطّاب بصورة ذهنية تنقض كلَّ مسلّمة من أساسها، فالقرآن العظيم الذي جاء من السماء، يتوجّب أن يكون فعله مضاداً للقار والسائد حين يتحول إلى رسالة أرضية تتجه نحو السماء: «**كأنّا ما التصقنا بالزّنودِ السُّمر،/ كأنَّ دماءَنا تجري على حجرٍ،/ لم نباغتْ ربَّنا بقرآنٍ عظيم**»، هو فعل، في لغة خطّاب الشعرية حادثٌ متحققٌ، لأنه يقرنه بتساؤلات بدأت عن تاريخ متحقق للأمة، والتي يضيف إليها أنها الأمة التي باغتت الرّب بقرآن عظيم، متقاطعاً مع النّص المقدّس، لكنه يرد بلا أل التعريف، ليغدو فتوحات على كافة المستويات اللغوية والاجتماعية بجميع تقاطعاتها وتجلياتها.

على أن فتوحات عبداللطيف خطّاب لا تتوقف عند الرغبة في التجديد، إذ تتحوّل إلى اقتراح الأسئلة عن موقفها من الإرث اللغوي للأمّة، لقوافيها، لنسيم شعرها الموروث الذي لم يلامس روح الشاعر، لبداية القصيدة العربية التي تقترف الآثام بالاختراقات في بدايتها، ثم تنكص في هيئة مداد يابس، ذلك أنها لم تكن قادرة، بفعل افتتان الذهنية العربية بالتنظير والتأطير والتقعيد، على احتواء كافة تجليات الخطاب الشعري على اختلاف منابعه وثرائها: «**ما لهذي الروحِ لا تصبو لتمجيدِ القوافي،/ أو نسيمِ الشِّعرْ،/ ينبُوعُ القصيدِ،/ يُقَيْثِرُهُ البُداةُ على سرائرنا،/ ما للقوافي ترتكب إثمي؟/ كأنّي بقضايا الوَجْدِ/ تلهو،/ أو لمعةً من رقيم السومريين على أوراقِ الثكلى/ والمدادُ اليابسُ المخزونْ،/ ما للقوافي أَسْرَجَتْ ظَعْنَها صوبَ هجر الروحِ،/ غرَّافةً هَذْرَ الجنونْ،/ هذا أنا المجنون،/ هاذياً بالشيح، بالقرآنِ، بالبلدِ المجاور،/ بالقصائِدِ،/ بمطارحِ البدوِ الشَغافِ القلبِ**»، ليقترح الشاعر في نهاية هذا المقطع الشعري أن يتقاطع مع الجنون، الجنون بوصفه حركة تحرّر ومقاومة، لهذي بكل هذا الموروث من نص ديني ومكوّنات اجتماعية وقصائد، وانتماءات لا حصر لها، في سبيل الخروج منها، عندها نرى الملائكة، المشردين في نص سابق قد تحولوا إلى الاندماج في هذه التركيبة التي تحتلّ الشرق بين ثنائيتي الرّب والوجود الإنساني: «**ما لي أراكَ تناغي الرَّبَ الحزين،/ على ملائكةٍ،/ أناسٍ طيبين**».

ثم إن هناك البعد التاريخي الذي يحمله خطّاب في كافّة نصوصه، ولكنه يختلف عن الظاهرة الصوتية للتاريخ في الشعر العربي، فلم تعد هذه الأمّة هي المصطفاة، لأن لها بعدها الإنساني الذي يلتفت إليه الشاعر كي يجدد درجة الوعي بـ«اللحظة» التاريخية: «**ولتحملوا الشمسَ التي بزَغَتْ على روحي،/ كي يَسْتَقِرَّ جنونُها الفلكي،/ كي يباهي اللهُ بالأممِ القيامةْ،/ هذا هو الخَفِرُ المَجيدُ،/ وهذا مجدُهُ الغابرْ**»، فالوعي الإنساني أعمّ وأشمل من الانكفاء التاريخي على الذات، والأمّة التي يباهي بها الرّب الأمم تتحول إلى رافد ضمن سياقها الإنساني، وهو في هذا لا يتحدث عن الآني، بل عن المجد الغابر، ذلك المجد الذي تحقق في سياق الشرط الإنساني العام، ثم أفل حين تخلص من روافده الإنسانية وانكفأ إلى داخله مهزوماً: «**هدهدني النوم،/ لا سِنةَ تأخذني، والنومُ عذابي،/ يهتزُّ سريري،/ و أنا العرشُ المتأرجحُ في لُجِّ عماءِ الروح**».

إن لغة عبداللطيف خطّاب تستحق التوقف أمامها مطوّلاً، كما تستحق مضامينه أن يُكتب عنها لأنها إعادة مساءلة للصور الذهنية المتوارثة، وإعادة كتابة للسردية التاريخية التي تروي تاريخها لتتخلّص منه. بل إنّ عبداللطيف خطّاب في لغته المتجاوزة لكل أطر الشعر وتنظيراته، في المفردات التي تشبه فوّهة تبتلع العدم لتؤثث وجوداً جديداً ومختلفاً، وفي صوره التي تنقلب على مضامينها بدءاً من المقدّس وليس انتهاء بالشعري، يضع قارئه أمام عالم ما وراء اللغة، كما يصف باختين علم 'عبر اللسان' بأنه من خلال التّلفظ لا بد أن يقدّم موضوعاً لاستعلام على لغةٍ جديدة،

وهذا، تماماً، ما يقترحه خطّاب في منجزه الشـعري، الذي تجاوز الأطر، لا بتحطيمها، بل بإيجاد عالم شـعري موازٍ. وهو إذ يقدمه لقارئه بحلّة جديدة غير معهودة، يقترح على قارئه أن يشـاركه في استكمال بناء المعنى، متخلّصاً من التقعيد الشعري الذي غُذي به، حتى على أيدي منظري قصيدة النثر العربية في العصر الحديث.

حامد بن عقيل

الغُرنوقُ الدَّنِف

2024

إشارة

طبع هذا الديوان عن أصلين؛ أصلٌ مخطوط مطبوع بالألة الكاتبة ومصحح بخط اليد تحت عنوان «الغُرنوقُ الدَّنِف» محفوظ لدى خلف علي الخلف سلمه الشاعر الراحل عبداللطيف خطّاب له باليد ليبحث له عن ناشر. هذا يعني أن ذلك الديوان كان نهائيا بإشراف الشاعر الراحل، وقد ضمّ ثلاثة أجزاء: الأول «الغُرنوقُ الدَّنِف» الذي حمل الديوان اسمه ويضم سبع قصائد والثاني «سِفرُ الرّمل»، والثالث «أور: زقورات الحماد».

بينما الأصل الثاني مخطوط مطبوع رقمياً محفوظ لدى حسين برّو منقول عن نسخة من أعمال خطّاب الكاملة بخط يده، سلمه إياها الغُرنوق الراحل لإصدار نسخ محدودة من أعماله الكاملة كما كان يفعل مع كتاباته، وتضم المخطوطة إضافة لمخطوطة «الغُرنوقُ الدَّنِف» السابقة؛ «ترجمان النوم» و «جُثتي هيّابةٌ» و «هايكو صحارى الجنون»؛ مما يعني أنه حتى تاريخ تسليم هذه النسخة، كان ذلك كل ما لدى الغُرنوق من شعر، إضافة لديوانه الصادر سابقاً بعنوان «زول أمير شرقي» والذي أصدرنا طبعته الثانية.

لابد من الإشارة إلى أنه كان من الصعب علينا الوصول للأصل الورقي المحفوظ لدى حسين برّو، وبالتالي، وإذ دققنا قصيدة «هايكو صحارى الجنون» على نسخة منشورة في مجلة البيان الكويتية، فقد بقي لدينا «ترجمان النوم» و «جثتي هيابةٌ» دون أصل ورقي، وقد واجهنا فيهما بعض أخطاء الطباعة التي كان معظمها من السهل تلافيها بدقة من خلال السياق لكن بقيت مفردات تعد على أصابع اليد وجدنا صعوبة في استنتاجها بدقة تامة من خلال السياق واخترنا ما رأيناه الأصوب.

بقي أن نشير إلى أننا حافظنا على التنسيق الداخلي للنصوص كما كتبها الغُرنوق الراحل بعلامات ترقيمها، وزودنا الديوان في نهايته بهوامش تضيء

النصــوص ســواء للمفردات أو التعابير المحلية أو تلك الإشــارات للشـخوص والميثيولوجيا التاريخية والدينية التي تحفل بها نصوص الشاعر.

الغُرنوقُ الدَّنِف

طريحُ الكتابة

داهمتني الكتابَةُ مثلَ حَشدٍ وَديعٍ، واصطفتني كَرَبٍّ شَرِسٍ،
داعبتني النصوصُ وأذبلتني، ها أنا طريحُ الكتابةِ والهوس والمهرجانِ
اللذيذِ، ها هي الشراسَةُ تُنْبِئُ بالذَّبحِ واقْتِتَالِ العذوبَةِ،
تطرحُ لُعبَتها خارجاً وتَنُوسُ كرقَّاصِ قلبي،
ها هي الكتَابةُ تَسْتَعْمُرُ الأنثى، تُصارعُ ذابحيها، تجْتلي عُكْرَةُ الماءِ، يا
ويلَ القبائل من حِرابِ الذَّرَةِ ورَهَجِ القتلى،
ويا ويلَ الطرائدَ من فرائِسها،
قد جَابَتِ الأنثى مكانَ الذَّبحِ، صَيَّرنَا التساؤلَ:
- من يذبحُ الأنثى؟

من يبتغي سرَّ الفصاحةِ، فليهاجرْ صوبَ ربّي، وليعالِجْ
بالطواغيتِ الجليلةِ، ملائكةً مشردينَ، وعاطلينْ.
ويومُ الدَّينونةِ يا ابنَ آدمَ، خَلَّعَ الأبوابَ، حَزَّ رقابَنا،
فاصْطَفى الرَّبُ الرؤوسَ، وانتشى بالجمرِ،

يُوجِعُهُ الصدى.

هذي ليالينا التي ازْدَهَرتْ بذبائحِ الدُّولِ الصـــديقةِ، يوم نُحشَـــرُ في تخاريمِ الرِّداء الآدميّ، ويوم نَشُّمُ ريحة الأنثى ممزوجةً بالسُّلْ.

في قِمَطْرِهِ تتناثرُ الكلماتُ، وتنحني الأصواتُ بَهْراً بالمدى...

تَجرُّ أذيال الخليقةِ، ناسجاً صوتَكَ المكبوت، منسحباً من الحلباتِ،

تهيمنُ الكلماتُ والأحزانُ، والعبدُ الفقيرُ إلى تعالى،

هذي ذيولُ الخيبة الكبرى، وهذا موتُنا:

موتُ البريَّةِ،

موتُ نَبْتِ الزَّعفرانِ،

موتُ الرياحينِ الجميلةِ بين أنثى،

موتُ الهياكلِ بين قبرِ الفاضحِين،

هذي أماكننا،

وهذي سجدةُ الموتى يُغيِّرُهم بأكفانٍ مُداهنةٍ،

شواهدَ ما لها أنصاب.

هذي آخرُ الدُّنيا،

ويلزمُنا النفير.

الإمبراطور

سليلو أفَّاقينَ نَحنُ،
ونبّاشو موتى،
سليلو أباطرةٍ نَحنُ،
وقيّافو جنونْ،
أسلافُ البربر نَحنُ،
وأخلافُ الإسلام،
بدوٌ نحنُ،
نعاقرُ شُذاذ الموتى،
وصحارى الجنّ،
والعربو - الجندو نحنُ: في ذاكرة الآشورِ الحُبلى بالدَّم،
بدوُ نحن نتباهل والخالِقَ، كي يرسُمَ بالخزفِ الصِّيني وجوهَ ضحايانا، ويُوْدِعُهَا -سِرَّاً- في «اللَّوحِ المحفوظ»،
بدوٌ نحن، نرسمُ في سَفوِ الرَّملِ عُهرَ اللّيل المكتومِ الغيظِ،
المذبوحِ الأنفاسِ،

ونُفاخِرُ:

ها نحنُ الغَرْثى في لجِّ «الهيكلِ»

... وشال الإرواحيُّ عصاهُ، يتلقَّفُها السَّحارُ الأبديُّ،

يُجَمْجِمُ مَذهُولاً:

نُيَمِّمُ شطرَنا صوب الوجوهِ المستفيضةِ للجلالةِ،

لوجوهِنا تستعمرُ الصورَ الرَّهيفَةَ،

لحاشيةِ الأميرِ مُقلِّداً صوتَ الخُواة،

يُداعبُ السعدانَ كي يُلْهي به الساحرَ،

«والشعرُ مثلُ السِّحر يا جَمل المحاملِ،

يَهْمِزُهُ الجميلُ،

ويَلْفُظُهُ الجليلُ،

وترتوي مثل المنايا قربان قافيةٍ،

يرغي بها الجَملُ الحرونُ،

وتغورُ في الأرضين ماءُ السلسبيلْ»،

نُيَمِّمُ شَطرنا صوب العذارى،

صوبَ نَحْلِ الروحِ،

نبْهِجُ الأطيافَ أطواراً،

فتبتهجُ الصَّحابةُ،

نشيلُ عنهم أيامَنا، أيامَهُم، صوبَ حَرِّ الروح،

والسَّغبِ المَقيتِ،

ونخلعُ النعلَ العتيقَ، ونَمُرُّ في الوادي المقدَّسِ،

«غَيْرَ ذي شَحَنٍ»،

«ونُباهلُ السِجيّلَ في أطوارِ سينا»،
وفي السَّبي العريقِ،
برجِ بابلْ،
من نورهِ نَجْتَرُّ أرماسَ المعاني،
مبذولةً في الدّربِ،
«يبتاعها الأعرابُ»،
ونصارعُ الأذيالَ والرأسُ المحنَّطَ،
يعلو المِنَصَّةَ مثل هرطوقٍ جميلْ،
ويَهتِفُ سافِكاً أشلاءَنا:
- «يا وِزْرَ السَّقيفةِ»
- «يا وِزْرَ الخِلافةِ»
وَنَنْصَحُ نحنُ بالموتى، وبالجُثَثِ العريقَةِ،
ما خُلِقْنَا للسَّعِيرِ، ولم نَرِدْ في «سورة الأعرافِ» يوماً،
ونُرتّلُ القرآنَ طولَ الدَّهرِ،
نقتفي أثرَ الصَّحابةِ،
ونَفِرُّ بالدّين العظيمِ،
إلى رُقيم الكهفِ،
أو طفّ «الفراتان» التليدِ،
وتميدُ بالأرضُ السنينَ،
نُدَوّنُ الذكرى السعيدةِ للغريبةِ،
والغريبِ،
للنسغِ اللَّطيفِ،

أفعالُنا تأبى علينا أن نساوم بالذِّكرى،
نحنُ انبعاثُ الموتِ والقيثارِ،
ندوِّن الأشعارَ بالسِّفْرِ المضمَّخِ بالضحايا،
ما كنَّا لنأبى أن يُقَيِّضَ ربُّنا منَّا رسولاً،
كي يخْلِفَ الباطن.

العشائر

حزانى يا ابن ماجد،
كأنّا ما فتحنا الرُّوح، ما اجتزنا صحارينا،
كأنّا ما سبحنا في البليخِ، ما شَلعْنا سوسهُ الخمري،
كأنّا ما برحنا قبرنا الطفلي،
ما شُدْنا بألحان البداوة،
وما كنّا بني أُميَّة،
كأنّنا السِّحَنُ الغريبة،
كأنّا ما التصقنا بالزّنودِ السُّمر،
كأنَّ دماءَنا تجري على حجرٍ،
لم نباغتْ ربَّنا بقرآنٍ عظيم.
كأنّا ما شَمَمْنا الهواء الغربي،
على هوادجِنا اضطجعنا،

نسايرُ النجمَ الغريب،
كأنّنا أخلاطُ شعبٍ ضائع،
تباغتنا الشعوب باللغة القديمة،
بالسريعةِ،
ونَفخرُ: ها نحنُ بقايا الرُّوم.
ما كانتِ الصفةُ ابتداء اللّحنِ، ما كانت بقايانا على سرّ الخليْفَةِ،
ما كُنّا على سَفَرٍ،
وما صُمنا
استباحتنا القبائلُ، فامتطينا رقابَنا،
نهزجُ
بأسلوبٍ جميل.

الظّعْن

يجفو البداةُ الظاعنين إلى مطارِحِهِمْ، تجافيهم عشائرُنا،
عشائرُهُمْ،
ما للبَرِيَّةِ أزعلتْ روحي، أجفلتْني من شَغَافِ البدوِ،
والقتلى الميامين،
ما للهوادجِ أوقَفَتْ أعراسَها؟ بانتظارِ النَّدبِ أو ذبحِ
العشائرْ،
ما لها صُمَّتْ أهازيجي، أهازيجُ الطفولةِ، أشعلتْ
نار الأعنَّةِ في الضمائرْ،
ما لهذي الروحِ لا تصبو لتمجيدِ القوافي،
أو نسيمِ الشِّعرْ،

ينبُوعُ القصيدِ،
يُقَيْثِرُهُ البُداةُ على سرائرنا،
ما للقوافي ترتكب إثمي؟
كأنّي بقضايا الوَجْدِ
تلهو،
أو لمعةً من رقيم السومريين على أوراقي الثكلى،
والمدادُ اليابسُ المخزونْ،
ما للقوافي أَسْرَجَتْ ظَعْنَها صوبَ هجر الروحِ،
غرَّافةً هَذْرَ الجنونْ،
هذا أنا المجنون،
هاذياً بالشيح، بالقرآنِ، بالبلدِ المجاور،
بالقصائِدِ،
بمطارحِ البدوِ الشَغافِ القلبِ،
ما لي أراكَ تناغي الرَّبَ الحزين،
على ملائكةٍ،
أناسٍ طيبين.

مجدهُ الغابر

من الخَفراتِ البِيضِ يَلْمَعْنَ في مَعْمَعَانِ الروحِ، هذا
نشيدي:
من نَخْلٍ يداري عَرايانا، من نَخْلٍ يُسارِرُ بعضَهُ بعضاً،
كي يُبهجَ الأنثى، ويُتحِفُنا بتمرِ الروحِ،
من البَرِيَّةِ الهوجاءِ، تَشْلَعُنا لترمينا حُفاةً في مدائنكم،
من هذا المداد الأسود المسروقِ من دمنا لأسوار
الخليقةِ،
من بهجةِ الزمنِ الرهيفِ،
يُداعب العمر الذَّبيح،
ومن كلِّ الجهاتِ المُستفِيضةِ، يُشْرِعون السيفَ
باسم من ماتوا.
هذا أنا الخَفِرُ،
الحِّيُّ،
الذي باسم البهاليلِ، أرددُ:
هذا نشيدي،
وهذه أرضي التي خانتْ ملوحتُها،
لم تَسْتَحِ منّي، ولم تعْطِفْ على أغنامِها،

على شوكِ البراري.
شالتْ حُشاشَ الرّوحِ، تَلْقِمُهُ -مباهيةً- خيولَ الروم.
هذا نشيدي،
هذه روحي أُفَرِّقُها لوجهِ اللهِ،
هذهِ روحي على كّفِّ القيامة،
فلتحملوا روحي ليبتهجَ النشيدُ،
ولتحملوا روحي لتبتهجَ القيامةْ،
ولتحملوا الشمسَ التي بزَغَتْ على بلدِ البُداةِ،
على ثُغاء الروحِ،
والدُرَّاجِ،
والظبي الغريرِ،
ولتحملوا الشمسَ التي بزَغَتْ على روحي،
كي يَسْتَقِرَّ جنونُها الفلكي،
كي يباهي اللهُ بالأممِ القيامةْ،
هذا هو الخَفِرُ المَجيدُ،
وهذا مجدُهُ الغابرْ.

الأَعراب

هذا هو الزمنُ الذي أفنى ثُمالَ الروحِ، كي نرحلْ إلى زمنٍ
أطرى من الخرنوب،
هذي مَواجِيدي التي عَيَّرْتُ خُلاني بسجدتِها لروحي،
هذا جنوني السافي على رملٍ تناستْهُ القبائلْ،
على أرضٍ ينتابها اللهُ والأعرابْ،
وهذه الصحراءُ ما باكرتُها دمعاً،
ولم أُسْرِ إليها طائفاً من طلعة الجهْمَةْ،
هذه الصحراءُ من دَمِنا،

نحن الرسومُ الدّارساتِ لنؤيها المجنونْ،
نحن أهلوها وعِزَّتُها وقد صرنا حُثالَ الرومْ،
لم نأتِ من صوب القلوبْ،
لم نأتِ من دارٍ تُعاشِرُها الأُلّافْ،
كنَّا جُفاةً أو غلاظ القلبِ،
كأنني أوصيتُ أَعراباً: بألّا ترتقوا طللاً تُغادرنا حجارتُهُ
لتشييدِ السجون،
كأنني ما قلتُ للبيدِ الرؤومِ:
أرمسونا، لم يبقَ غيرُ ثُمالةُ الخلّانْ،
لم نأتِ من دارٍ تُعاشرها يدُ الأُلّافْ،
لن نَهْمِي الدمعَ تِسكاباً على المذبوحْ،
ولم نَغْشَ المحارمَ مثلُ آدم،
كنّا على شفا جرحين من يثرب،
كنّا عِراباً وشجوانين بالولَهِ المُميتِ،
كنّا قد أفضنا الدمعَ تِحناناً على أسوار مكة،
كنّا ننطق التسبيحَ، نقتفي آثار من داسوا على قبري.

جَملُ «الواسِطي»

يفجَؤني «الواسطيُّ» بالريشةِ المستريبةِ،
واللوحةِ المُستراب بها،
وتصويرةِ الطَّيرِ على مشكلِ اللهِ،
أو خلقةِ الكون،
ويفجَؤني «الواسطيُّ» بالجِمالِ الحزينةِ، على سدو «قاشان»،
سُجَّادةُ الفُرسِ،

وتعشيقة الجامعِ الأمويّ،
زخرفاتُ العصورِ الوسيطةِ،
ويأخذني بيديهِ، يجعلني مقصد الرَّسم، أو نوبةً للفنونِ
الجميلةِ،
أو مَسْحَةً للجَمَالِ الشجيّ،
فأرنو -جنوباً- إلى فَنّهِ،
وأُصغيَ -شجوانَ- إلى وقعِ ترتيلةِ السومريْ،
وأسمعُ ترنيمةً للصلاةِ،
جَمْجَمَةَ المؤمنينَ،
أدعيةَ الثاكلاتِ،
أسمع طَرْزَ المحبّينَ،
وأُوغِلُ في مَهْمَهِ البدوِ،
آه.. يوم كُنَّا جميلينَ كاللهِ،
أو مُتْعَبِينَ كالرقيمِ القديمِ،
يوم نرسم ترنيمةً للبَلَيْخِ المجاور،
نرسمُ مذبحةَ «الليلة الألف»،
يَؤطِّرُها «الواسطيُّ» بدمع الدساكرِ،
وترتسمُ الخيلُ
قابَ موتينِ أو..
آهِ.. يوم كنّا صِغاراً يا «الواسطي»
نغني شهوةَ المسلمين
جِمالَ الفتوحاتِ،

يوم كنّا نُقدِّمُ أضحية العيدِ،
نُفَدِّي الرِّقابَ بكبشٍ عظيمِ
وندعو إلى اللهِ ربِّي،
كن فيكون،
نكونُ مطايا شعوبٍ تَفِحُّ وراءَ السَّراب،
آهِ.. يوم كنّا بالريشةِ المستريبة،
واللوحةِ المُسْتَرابَة،
يرسمنا «الواسطيُّ» الجميل.

سِفْرُ الرّمل

ليلٌ،
ليلُ المرتابين،
ليلٌ يرتدي ما رماه القدامى،
ليلٌ تلبَّسَ سرَّ الوجود،
ليلٌ تسربلَ بالزردِ العبقري،
يجرفُ نسغَ الدم،
يتحللُ بالرأسِ الملعون،
يتخفى في زي الملكوت،
يخدِّدُ سيلَ الدمع،
يتوحَّد بالنَّوحِ الأول،
للطفلِ الوادع،
للقبرِ الوادع،

يتشذَّر في برجِ الموتِ:
.. أين مني النفْسُ التي ما فطرها العالي نيّاحةً:
يا مجدَ الليل،
أين ولّى العمر الذي أهذرُ فيه
بئرٌ في الصحراء أنا -فُطرتْ- في طَلةِ فجرِ الملكوتِ،
وانْطَمِّيْتُ عند صلاة العصر الوسطى،

ما أبغيهِ من لفظة «ليل»؟ يوم مسار الألفاظ الأولى؟
من عاشَ بشهدِ العمر؟
مَن؟
وجنى -جذلانَ- ريعانَ الأيام؟
نشَّ مِدادَ العمر،
غذَّى جذوةَ ميْعتهِ بالسُّمِّ الزاهي
مَحَلاً -صَيَّرَ- بُقيا ماءِ الأيامِ،
ما زال المجنونُ يهلوسُ في بَيْعَتِهِ:

من جنَّن صحراءَ الدوِّ؟
من جعل فُتات القلبِ عناوينَ الوجدان؟
يتنفّسُ فجراً غَالَبهُ الدمع،
للطَّللِ الصَفْصَفِ،
والخلاّن الرُحّلِ،
مَنْ؟
تركوا المجنونَ يُغالبُ سكراتِ الأجداثِ،
غَزاهُ الجُدَرِيُّ نقّاشاً لِشَغَافِ القلبِ،

.. سِجّيلٌ يجْدُرُ راميهِ، ويباهلُ نيرانَ الأخدود،
تركوا وطناً يقتاتُ على البدوِ الرُّحل.

.. كان الروميُّ يقيءُ عَرباً غابرةً أو حجراً أسود،
وكان الأعرابيُّ -ذبيحاً- يَرتَقِصُ على رَجْعِ فحيحِ الموتى
يُوطِّئُ أكناف الإبل، كي ينزو الر وميُّ على ملحِ الأرض،
يتناهى رَجْعُ الألفاظِ، أصداءَ صفيرِ الريحِ الأولى،
وبقايا دِمنٍ، سَفْوُ رمالٍ، نُؤيٌ مَثلوم،
نَشَّ مدادَ العمرِ الصابغِ نارنجُ الفينيقيين،
يتراءى دربُ الصحراءِ سراباً، يذبح ناموسَ التصوير،
وتُسبّح باسم الله ثلاثاً أعشابُ المحراب،
تَصَّاعَدُ تعريشاتُ الوجدانِ حُلولاً بالبدْءِ الأوّلِ،
ودمُ الصحراءِ دمي، يَسْحلُ دربَ التبّانّةِ كي يقْلبَ سكّين الفِدْيةِ،
لكنَّا حرَّقْنَاْهُ؛
ورمسناه هباءً في «أور» الكلدانيين،

ليلٌ،
ليلٌ أعمى يهدي البصّارين مناحي الهُوْتَةِ،
ليلٌ يضْبَحُ: اطفئْ هذا النور،
فقد عميتْ عيناي،
نبح المجنونُ يُرتِّلُ آياتِ الليلِ الأعمى:
اطفئْ هذا النور،
فإنَّ القلبَ أنطفأ،
والعمرُ يُغَالبْهُ النسيان،
أطفئْ هذا النور،
فإن القلب ذوى،
وبقايا العمر، طيوف حكاية،

نبح المجنونُ يرتلُ آياتِ الليلِ الأعمى،
لكني والليلُ ندامى،
أمشي الرَّيثَ، مشْية ندمانَ،
أو مكسورَ الخاطر،
أعبثُ بالنجمِ، ثآليل القلب،
أهدهد نجم الشاعر كي يُعمى خثرات الوجدان،
قلبي تابوتُ «بناتِ النعش»،
هو الليل -لا أدري- ليلي،
ليلُ أطياف القرى على جاليّ «بَليخ» البال.

[.. تتراءى في الرُّقُم تصاويرُ الأنهارِ،
وأنا المولود جهارا في «ما بين النهرين»،
طولي يترامى مثل مسلّات المصريين، وأناغي طيناً يجبله الآشوريون
كي ينطق عربو- جندو،
أنا... وأنا المتواجد ما قبل التكوين،
ألبس جلدَ الماعزِ في عرسِ الأسوار،

أنكح غانية المعبد، كي يَرْمُس طَفُّ النهر شِلوَ أوأْدِم،
صديدُ الموتى، قوباءُ الفاتح،
قيحاً وزُحارا يتلفظنا الآريون..]

ليلٌ
سُمَّارُ الليلِ، ترجيعُ قبابِ الطين،
ليلٌ
بهزيعٍ وَسْنَانٍ نتلظّاهُ صدىً وعنينِ
ليلُ الدَنَفِ،
المفعمِ بالسردِ الشرقي،
تجارُ المتعةِ يا «دنيا زاد» الألف،
مسرورُ السيّافُ يُثّلمُ حنجرةَ الصادحِ،
كي يَشْخَبَ دمعُ الدم، ...

[... ورويداً كالهيمانِ،
ألملمُ شقشقةِ الفجر،
طفلٌ داعبَه الليلُ وحاباه،
يُقعى منزويا في ركن الخاطر،
يستشرسُ في ليلِ البال،
ينشجُ مخذولاً:
نَحتُّ على الثؤلولِ الموغلِ في الذكرى،
وتكوَّنتُ رفيقا للحادينَ،
عَددتُ النجم، ...]

[... ظَل الحرسيُّ يدق الأرضَ بعنفِ الموتى،
يتقوى بالمهمازِ ثمالة جمجمةٍ، ينخسُ جلوازَ الوالي
أَتِنَ الأعرابيُ، كي يخلق شعباً في زي الحيوانِ الأجرب،
ينهق -جذلان- في أول حمأةِ غِسلين،
ينكأُ جرحاً، يتدفَّقُ أعراباً مما قبل الطوفان...]

حَفِيٌ بالنجمِ، أنا،
[... يترامى صوبَ الأكتافِ يميناً طيفُ ملاكٍ يدفُّ بأجنحةٍ تتقدَّسُ «طاسينَ» الصوفيةُ، وعلى الأكتافِ شمالاً يتربَّعُ طيفُ ملاكٍ في زي غرابٍ ملعون، ينعبُ فوق بقايا الروحِ
فيما كانتْ أنهارُ الجنة تطفحُ بالموتى...]

... في «كنز» الصابئة، تراعي ثؤلولا، تنعي نجماً خرَّ سجوداً للرحمنِ، تردفُ أعرابياً وتجوبُ ديارَ الترك شــمالاً، تتناولُ قربانَ الحكمةِ من لوقـا الســوري، تُشَــمشِــمُ عـثَّ الوراقين، بيوتُ الحكمـةِ تفتحُ مصراعيها، وتصطفقُ حنينا، يلجُ سليلُ الرهاويين، يُجَمْجِمُ نسطور السريانِ بوصايا الآلهة الأولى،

[... في «كنز» الصابئة، تجهر بالسرِّ، كي يتشظّى قدومُ الرحمنِ على عتباتِ الروميين، يتشاطئ شمشونُ العبري، سعادينَ الدولةِ، تنفذُ كلماتُ الصحراءِ، تغرف أصواتاً من لُجِّ اللوحِ المحفوظ،
تكتبُ:
ملعونٌ أنت
ملعونٌ نسلُك
ملعونُ مِن حَدِّ البريَّة حتى أسرار الشيطان...]

هدهدني النوم،
لا سِنةَ تأخذني، والنومُ عذابي،
يهتزُّ سريري،
وأنا العرشُ المتأرجحُ في لُجِّ عماءِ الروح،

... بشرٌ بعذابٍ أبديٍّ في طيفِ البال،
بشرٌ مثلُ كثيبِ الرملِ يتهادون حَيارى،
يتنزَّلُ دودٌ من وقبِ العين،
يدمي أبراجاً تتسامى صوبَ رمالٍ، صوبً خرابٍ،
يبلبلُ ألسنةَ الصينيين،
كي يتداعى الناسُ حزانى بالأحجيةِ الأولى:
كن فيكون،

ليلٌ
يتشظّى في برديِّ الحكمةِ ما بين الشفقِ،
وما بين الفجرِ حتى يتبين خيطُ التسبيح،
ظلماتُ الكائنِ تلك،
ظلماتُ المكنونِ ابتدأتْ،
ينشجُ، تخضلّ عمامتَهُ:

بالله خبرني يا أيها الحادي
العيسُ قد ذهبتْ يحدو بها الهادي
فيما كان البغلُ -جذلانَ- يصيء:
اسكتْ هذا الصوت،
اسكتْ هذا الشجو فقد ولى زمن الوجدان،
فيما كان الآخرُ يثغو:
ارحمني،
ارحم قلباً يتفطرٌ شَجْواً،
ارحم قلباً شالَ الدنيا بالحزنِ الأكبر،
ارحم قلباً أعزلَ مثل غزالاتِ البريَّة،
نفرتْ منّي غزلانُ البرِ، وتيوسُ الصحراء،
مسكوناً بالجنِ -ظللتُ- جريحاً،
حتى فتحتْ لي «سيدوري» بابَ الرحمن
غَلّقتُ بابَ التوبة
في بيبانِ الوجدان
مشيتُ على دربٍ محفوفٍ بالحرس،
محفوفٍ بحرابِ الدولة،
صوتُ الحرسيّ أليف،
صوتُ السجانِ حنونٌ مثل المُدنف،

غَلّقتُ بابِ التوبة،
في بيبانِ الوجدان.

... قيثارُ الشرقِ شجي،
ينبعثُ رماداً «برصوما» الزامر،
قيثارُ الشرقِ شجيٌّ،
يتقطّرُ عنّاباً في نملِ سليمان،
قيثارُ الشرق،
دُّفُ الأحزان
نَيَّاحاتُ اللحادين،
على أي مقامٍ شرقيٍ، يَرْتَقِصُ الشرقُ ذبيحاً،
وينغسلُ الوجدان؟

... تصطفقُ الأبوابُ الظمأى، توصدُ بالمغلاقِ وبالمزلاجِ الأعظم،
يومٌ يمرُّ الوالِهُ،
يومٌ يمرُ الآسِرُ تتلقَّفُهُ «عينُ الوردةِ»، يمشي في البريَّة، جذلانَ،
تتقفاهُ حِرابُ السُّمِ،
يمشي مصلوباً فوق قُرابِ الماءِ، يتقصّى صحراءَ الجّنِ،
«أمشي بقذالي البدوي، أتأبط سيفاً أرعن،
أنا الآسِرُ للنوقِ الجذلى،
للسرِّ الوالِهِ،
لحواريْ الشرقِ اللائي ينفرن سراعاً...»

«صديانُ الحرِّ اللّافح...»
كالمحمومِ أهذرُ في الكلمات،
أواسيها...

... يداي هاتانِ اللتانِ تعيثانِ بالبشرِ الغرقى في نهرِ العدم،
عدمٌ أسبغتُهُ على الكونِ، دمٌ ضمختْهُ يداي آنَ الصرخةِ الأولى،
رأيتُ شفقَ الطورِ، تركتُ عصا موسى، لكني فَصّلْتُ الصحراءَ على
قدِّ إيالاتِ الموتى، آليتُ على النفس:
كوني هجراناً من كهفِ الأنهارِ الأولى، طرداً ككلابٍ شاردةٍ
كان الدمُ ينفرُ كالغزلان،
صحاري الإمتاعِ، مرصادُ الجنة.

.. شعبٌ نوّامٌ حَتْفُ الأنفِ، ينخسهُ الروميُّ كبعيرٍ مطليٍّ بالقطران،
كان الراوي يتلاشى مثلَ سرابِ الصحراء،
كان الراوي في زي المدّثرِ،
كان شجياً وحزيناً يتلبسُ أرديةَ الموتى:

«... هذي نياحتي على الكائنِ
قيدتُها في سِفْر الرَّمل...»

نفدت كلمات السفر
في **الرقة** التي على الفرات
في 18 فبراير 1997م.

أور: زَقُورات الحَماد

إليف: في الأُلفة والأُلّافِ، واجتنابُ الغريب.
بيت: في العراءِ يسكن الموتى، ويبكي المأسور.
جيميل: جِمال الصحراءِ تشيل السبايا، وتشخبُ بقايا الدَّم.
دالَت: يا إلهي! عَتَبَةُ الدَّولة المُرعِبة.

أور:
الدّمُ الصارخُ في البريَّة.

جفّ دمُ هذا النشيد
في التاسع من آب 1994
في الرقة التي على الفرات.

إنّي أنا ربُّكَ فاخلع نعليكَ إنكَ بالوادِ المقدّس طوى

قرآن كريم، الآية 12، سورة طه

يا ربّي ليش أخذتو يا ربّي ليش أخذتو
عمرو ما نصح مسلم وعمرو ما كسر سبتو
يا ربّي ليش أخذتو

نواح اليهودي على الميّت في شمال سوريا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين.
من شفاهيات الشاعر.

1. كلام نَحَميّا بن حَكَلْيا

كان في شهر كسلو في السنة العشرين إذ كنتُ في شوشن القصر.

2. أن قَدم حناني أحد إخوتي هو ورجالٌ من يهوذا فاســتخبرتهم عن اليهود الذين نجوا من الجلاء عن أورشليم.

3. فَقَالُوا لِي: «إِنَّ الْبَقية التي بَقيت مِنَ الجلاء هُنَاكَ فِي الْبِلاَدِ، هُمْ فِي ضـــنك شديد ومهانةٍ. وَسُورُ أُورُشَلِيمَ مهدوم، وَأَبْوَابُهَا أحرقت بِالنَّارِ».

4. مَّا سَـــمِعْتُ هذَا الْكَلاَمَ مَكثتُ أبكي وأنوح أَيَّامًا، وَصُـــمْتُ وَصَـــلَّيْتُ أَمَامَ إِلهِ السموات.

سفر نحميا، الاصحاح الأول: 1 – 4

1. وسمع بنو إسرائيل المقيمون بأرض يهوذا فخافوا جداً من وجهه
2. وأخذ الارتعاد بفرائضهم مخافة أن يفعل بأورشليم وبهيكل الرب كما فعل بسائر المدن وهياكلها.
3. فأرسلوا إلى جميع السامرة في كلّ وجه إلى حدّ أريحا وضبطوا رؤوس الجبال كلّها.
4. وسوّروا قراهم وجمعوا الحنطة استعداداً للقتال.
1. وكبت ألياقيم الكاهن إلى جميع الساكنين قبالة يزرعيل التي حيال الصحرآء الكبيرة إلى جانب دوتان وإلى جميع الذين يمكن أن يجاز في أراضيهم.
2. أن يضبطوا مراقي الجبال التي يمكن أن تسلك إلى أورشليم ويحفظوا المضايق التي يمكن أن يجاز منها بين الجبال.
3. ففعل بنو إسرائيل كما رسم كاهن الرب ألياقيم.
4. وصرخ كل الشعب إلى الربّ بابتهال عظيم وذلّلوا نفوسهم بالصوم والصلاة هم ونساؤهم.
5. ولبس الكهنة المسوح وطرحوا الأطفال أمام هيكل الرب وغطوّا مذبح الرب بمسح.
6. وصرخوا جملة إلى الرب إله إسرائيل أن لا يجعل أطفالهم غنيمةً ونساءهم مقتسماً للأعداء ومدنهم خراباً وأقداسهم نجاسة وإياهم عاراً بين الأمم.
7. وجال ألياقيم كاهن الرب العظيم في جميع إسرائيل وكلمهم قائلاً.

8. اعلموا أن الربّ يستجيب لصلواتكم إن واظبتم على الصوم والصلوات أمام الرب.
9. اذكروا موسى عبد الرب كيف قهر العمالقة الذين كانوا متكلين على بأسهم وقدرتهم وجيشهم وتروسهم ومراكبهم وفرسانهم فقهرهم مقاتلاً لا بالسيف بل بالصلوات الطاهرة.
10. هكذا يكون جميع أعداء إسرائيل إذا واظبتم على العمل الذي بدأتم به
11. وإذ خاطبهم بهذا الكلام تضرعّوا إلى الرب وكانوا لا يبرحون من أمام الرب
12. وكان الذين يقدمون المحرقات إلى الرب لابسين المسوح يقربّون ذبائح للربّ والرماد على رؤوسهم.
13. وكانوا بجملتهم يصلّون إلى الله من كل قلوبهم أن يفتقد شعبه إسرائيل.

سفر يهوديت، الاصحاح الرابع

وهو سفر غير مثبت في الكتاب المقدس بعهديه حالياً، من نسخة نادرة طبعة الآباء اليسوعيين في بيروت 1876 بأحرف من القسطنطينية.

ومن نحن؟
غير أُبَّهَةٍ بِعَصفٍ مأكول؟
هباءُ العِهنِ المنفوش
ومن نَحنُ؟
غير قِرابٍ تمحوها الأطلال؟
ريحٌ تعوي صَرصَرَة الأيام،
ومن نحن؟
رجالٌ بكاملِ هيبتِهم يخلعونَ الرقاب؟
ومن نحن؟
غير الرجالِ الأبابيلَ؟
رجالٌ إلى آخرِ القبرِ،

رجالٌ بِلحَىً مخِضَلّةٍ بالعويل،
رجالٌ تناسوا غبارَ السنين الخوالي،
عبروا صوبَ آخرِ الموت،
أو
- آخر البابلينَ؟

ومنْ نحنُ؟
غير ذُلٍّ أمام جيوشِ الصديد؟
ولَقنّاهُ بالكَلِمِ العديم
ثُمَّ كان:
أن اصطفقتِ القاعة بعنبرِ الهواء، وارتَجّ صدى
صليل السيوف الضَاجّةِ في خضمِّ الجماجم، وارتجفتْ
عفونة القدامى،
غير أن الأمير كان يقيءُ شعوباً تلذَّذها في الصباحِ الحزين،
وجَنّدتِ العروشُ المباحةُ طميَ السيولِ الحرونَة،
واستَقْصدَ اللغةُ «الساميُّ»
كي تمورَ شفاهُ «النبايا الصغار»،
وأنقذناه!
غير أن الدماءَ على سورِ «أوروك» قابعةً بالنشيجِ،
والمنايا -من صفيرِ الريح- جُنّتْ بالخيول،
وارتمى المثكولُ في» الأخدود»،
فيما كانتْ الدولُ الفتيّةُ،
«تعيثُ بالخرقِ السديد»

كان يعوي:
ومن نحنُ؟
رجالٌ بكامل هيبتهم يخلعونَ الرقاب؟
ومن نحن؟
وأعرف ما بيننا من سورةِ الدمعِ واصطباغِ الحرب،
هزتني الريحُ كي يسّاقط الموتى،
على رسمِ الرُّطبِ،
أججتني النيران، فارتسمتْ،
على السفودِ أشكالُ الأجنة،
هذا أنا يا «أور[1]»
أأقول ايخه؟
أأقول كيف؟
أم أنبش النسيان؟
كي أنطق رماد الدم؟
قلتُ:
ادخلي انساغَ قتلانا،
أو ما تبقى من سرابِ الدُّمَّلِ
قلتُ:
سأحثو شرقاً ندى «حبرون» عذاباً
سأصليهم العذبَ الرؤوم،
وأجنة الإلْفَة،

[1].أور: أور الكلدانيين، أورشليم، أورسالم، أور الخراب، أور...

[مبتدعاً شـلّال دمٍ على قطيعي القاتلِ، مؤاخياً ما بين الموتى، حيث
الجثثُ مُبهّرةً بالثكالى، سأرجِمنَّ قطيعي بلحدِ الزمن،
وسأعوي على أسوارِ أور:
من أسكَتَ الريح العديمة؟
وصنعَ الأسوارَ يا أور الثكالى،
«هو الرائي لأشياءِ الغرابةِ، فجَنْدليهِ يا بلادي»
سألقِّنُ السِجّيلَ روحي:
أين النواحيّون؟
أين شيوخُ الدُّفِّ؟
أم أين القياثرُ؟
مرمرةٌ لأثافيّ االمغروسة في نسغِ الموتى،
في أشلاءٍ الجثثِ
في إكليلٍ للموتى مجّدني طول الأيام.]

عاوياً:

نَدّاباً على رمْسِ اليتامى،
كنتُ مُحَصّن الأسوار،
فَتّحتُ هباءَ الريح،
رنّمْتُ المواثيقَ العتيقةَ،
رقّشْتُ أنصاباً على هُدبِ الهياكلِ،
سوّرْتُ ازماناً،
وغلّفْتُ الحقيقةَ بالجُذامْ.

«... واعتَدتُ المشي الولهان على جثثٍ لا أعرف مجهلها،
كان مثار النقع يطغى فوق الجُلْجُلَةِ»

وصُحْتُ بالسبايا:

أنْ تَبرَحْنَ للّيلة الأخيرة،
«فالتذاذ الجماعِ الأخيرِ، رَابَهُ نَطْعُ الحَكايا»

كنتُ أعوي:

أين الحرسيُّ المسكين؟

من حزّ هذي الرأس؟

ومن بالدمع رمى بهتاناً -قافلة الطوّافين؟

أين المسبيّون الذُهَّلْ؟

«أثغو في المهد، أنطُق بالحكمة -عبثاً- في الأيام الأولى

تعلّمتُ الخَفَرَ على أيدي الجلّادين،

صارعْتُ شخيب الدّمْ،

فَيقَهْتُ قرون التعذيب،

هَرّأتُ تراسيم التيسِ، دَلَقْتُ المداد الأخير،

رميْتُ القلم المكسور، نُحْتُ على العهد العتيق،

ذَبحْتُ الرجلَ الأعزلَ، آخَيتُ ما بين العواقرِ والدود،

رضّعْتُ جنينَ الموتى،

نِحتُ على الهيكلِ كالمأسورِ

كيف يصّاعدُ نُواحُ الأُسَارى،

ذبّاحاً مرايا العدمْ؟

نوحوا عليّ مثل ملوكِ العبرانيين،

نوحوا عليَّ فجثتي هيّابةٌ وقبري أكيدْ،

ها أنا:
بأبّهة القُدامى يا أور
بأبّهة من لقنوني طقوسَ الدفَائِن،
من نثروا وردَ الشارونِ على الزامرِ داوود،
من تاهوا في غيهبِ الروحِ،
شمالاً نجوبُ الرُّها،
ونمضي -سراعاً- إلى حتفنا الأوليَّ،
نمضي إلى حيث لا يذهبُ الذاهبون،
نطأطئُ الرأسَ خجلانينَ،
من أيّأمنا المُرّةْ،
نستصرخُ الاعراب.

أودى بي الوجْدُ نوّاحاً على الذيبِ،
وأباحني الأعراب لِلْجِيفَةْ،
جَنْدلني آشورُ كي أبكي أرَمْياْ،
كي أُنطِقْ رمادَ الدّمْ،
رائياً زمناً تَوَغّل في مهاوي الروحِ،
رائياً مُهَجَ الخلائقِ،
ناعياً:
نَوْحُ الأُسَارى يذبحُ الأرواح،
مُجتثاً مرايا الدَّمْ،
مدفوناً:
أمشي حليق الرأس يا «شمشون».

تُرجُمان النّوم

نامي عليهم طبگ يا گاع
نامي على حلوين الطباع

ندب فراتي قديم

«الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا»

حديث نبوي شريف

«فماذا دهاك الآن؟
هل سقط عليك النوم»

جلجامش في رثاء انكيدو

كنـتُ الغـافي مـا بين طوالِ النخـلِ، أو كنـتُ الواســنَ في ســدرِ الشّوْحَط،

والصوفيُّ اللائبُ ما بين «الكاسينِ» ووجدَ النوم،

تقرَّاني -مفزوعاً- بالمهماز،

[.. ينخسُهُ النائمُ كي يحتالَ عليه مرفوعِ الرأس، وسوط

التائبِ في يومِ الدنيونة..]

فيما سوّى قذالَ جدائله، وجبلها - فرحاناً- في بول الناقة،

[... يستمرئ - دوماً- سكيناً للذبح،

يقدّد جلمودَ دماءٍ في مصران الناقة،

فالقرشُ شديدُ في باديةِ اللّه، والقبرُ الداثرُ

يفتحُ أفواهَ اللحادّين..].

كنتُ الفاني ما بين طوالَ «الزّل» أو كنتُ الواسن
في سدرِ الرُّقم الشرقية،
ألوبُ -هياماً- والشّجنُ الصوفيّ عذابي،
[... اللائبُ في سرّ الموتِ، تفدعُهُ مخلوقاتُ اللّهِ الصغرى،
يبحثُ -مجنوناً- عن سرّ الرّمسِ، عن ميتتِهِ الصغرى،
عن طفلٍ ظلَّ طوالَ السّرمد يثغو -مفجوعاً- بخلودِ الموت،
عن نهرِ الجثثِ الواردِ في سِفْرِ الطوفانِ، يبحثُ -مجنوناً- عن سرّ
فؤوسِ اللحادّينَ، وعن موتِ اللحاّد،
[... تبقى الفأسُ، ويندثرُ الموتى، وتذرو الريحُ -هباءً- حتّى أصواتِ
اللحاّدين..]
يثغو النكّارُ في أولِ هدهدةِ الموتى، يستقبله بالضربِ الأوّل.
يتقرّاه -شلواً- قرآعاً بالمهمازية
يا ويل الموتى من ظلمةِ قبرٍ تحثوهُ الأيامُ، تَسْفُوه
الريحُ هباءَ النثّارين،
- لماذا آويتَ رمادً يا ابن فلان؟
- ولماذا آويتَ الدولةَ يا ابن فلانه؟

... يدهنُهُ في مَيعةِ صَـمغِ الشـمّارِ، وبالقطنِ الأبيضِ دَحيّاً في مِمراحِ الدّفلة،

- باللّه ثلاثاً سبّح يا مولى الوالي،
- باللّه ثلاثاً سبّح يا مولى اللّه،

يدبغُ صوتَ الوراّقين في شجرِ الصفصافِ المصطفِّ شمالاً في طفِّ فراتِ التنزيلِ الأول،

... من خُبثِ الفخّارِ دَاف اللحاّدُ سماءَ النائم،

وبالزلّ المتطاولِ بعثرَ مكحلةَ الندآبات،

بالمغرِ الأحمرِ دبّاغاً آثارَ الريح،

[... يا نجماً يمرحُ في ضوءٍ يتناهى صوبَ الليلِ الحالكِ، أرفعُ شكواي الليلة،

أثغو:

يا عبّادَ الرحمنِ تعالوا في ظلمةِ ملكوتٍ

يتناساها الديّان مراراً،

.. أنا فلانُ ابنُ فلانة، تذبحني الشــكوى دوماً، ويزيلُ الطفحُ الطفليُّ غشــاوةَ ســمّارِ الليلِ الزائلِ. ينثرُ ماءَ الزهرِ، ويجبلهُ في الكبريتِ الأحمرِ، في القرفةِ تحلو الجثثُ نثاراً للآتينَ،

فيما يحملُ مبخرةَ السالفِ، وذرورَ الصّبرِ

يُرقّشُ أنفاسَ الهلكى،

يلوبُ الصوفيّ مراراً حولَ الكونِ، يلوبُ،

يلوبُ، ...

يمشــي ملتاعاً مشــيةَ خَمّيرٍ تعتعهُ الوجد، في هذا الزمنِ الموغلِ في المهجةِ، أمشي

بين قبورٍ درسَتْها بِعران اللّه،

في باديةٍ ظمأى للريحِ الســافي، يسْــفوه الرملُ حتى يرمي المجدورُ البدويّ مِراحَ بيوتِ الشَّـعر، متروكاً ما بين سـماء يسـكنها الصّـهيد، وأرضاً أشعلها اللهُ مراراً بالقطران،

يصيحُ المجدورُ المرميّ مراراً بالأهلِ الرُحّلِ:
- يا باديةَ اللّهِ، عراءً يسكن هذا المجدورَ مراراً، لا قوتَ يغذّي القلبَ،
والماءُ المالحُ في حشوِ الناقةِ يظمِيني أكثر،
يترامى البدو الرُحّلُ والأهلينَ الغرثى صوبَ متاهات،
صوبَ رمالٍ صوبَ ديارٍ، لا تعرفها الإلفة
يظلُّ الغافي يتلّوى، حتّى ينغره الدود جراحاً
تنكأ جرحاً في القلبِ،
يظلُّ النوّامُ يحنّ حنينَ الناقة،
وسرابُ الرُحّلِ -دوماً- يتراءى في وَقْبِ العين،
وفي قيح المجرورِ المنسربِ مراراً في سيلِ الجثّة،
يحلمُ أنّ السالفَ يحملُ منجرةً، فيما كان المواتّون في صورةِ أكفانٍ
تتراءى خلفَ سوادِ غطّى وجهَ البريّة، والبيدُ الموغلة حماداً، تتشكّلُ
في هيئة مقبرةٍ للآتين،
والريحُ عزيفُ الجنّ صفّارةُ قبرٍ درستْهُ الأيام:
تسفوني الريحُ كي يسَّاقطَ الموتى على جمرِ الرّطب،
وأنثني كي يمرَ المائتون وحداناً،
يجفوهم التابوتُ والشرّادُ والقربى،
ويجفّ دمعُ النادِبات،
كي يرسمَ السِجيّل عُرساً يحتفي بالموت،
وانثني كي يمرَّ المائتون وحداناً،
وأرتع في مراقي الصمتِ،
صوفيّاً من الأشجان،

[... يتناوش الأرطئ، يشــلف الأركاة من شــجرِ الرمال، يدبغ النوآم فيها، يجبل الشـــمآرَ بالدهنِ المعتّقِ، يلبخ الطرفاءُ بالصــفصـــاف والغُربِ المغرّد، يستشير الطفَّ، طفّ النهر، بالمغرِ الأحيمر، ناسجاً رقياك بالقرآن والكلم الحميد، والدعاء المرّ للغيّاب بالأوبِ السريع،
أوبة الفرسان مخذولين بالنصرِ المميت،
أوبة الأفراسِ تسفوها الرمالُ العمي،
هذي هي الفرسُ الجميلةُ، هذي هي الفرسُ الشّـــموسُ، تنثالُ دمعاً على الخيّالِ مذبوحاً (يدفنه عجاجُ الخيل)
هذي هي الفرسُ الأشمّ،
وهذا الفارسُ الخيَّالُ تحميه العشيرةُ
بالسيوفِ المُغْمَدة...]

تحفرُ غيرانُ الصحراءِ، ترمي جِذلَ السوسِ بعيداً عن طفِّ الزلِّ، تكرعُ ماءً، تفرش نفسَك قدّامَ النهر، أنتَ الميّالُ إلى قصِّ حكاياتِ الحنفيشِ،

ينسربُ الماءُ إلى بطنِ الصحراءِ الكبرى،
تتلهىّ بشقوقِ الأرضِ، وبالسعادةِ يغالبها البدو مراراً، تطفرُ دمعاً،
تتلّوى كالحيّة كي تتحّدرَّ صوبَ خشاشِ الأرض، تصلُ السحليةُ،
ترميها بالموتِ الأرعنِ، كي يتلّوى الذيلُ بصلاةٍ تستبقيها في الذاكرةِ الأولى،
... تترّجل من خبثِ الفخّارِ، ترمي سِنَّ السحليّةِ، أو سنَّ اللاويينَ،
صوبَ خيوطِ الشمس،
[يبدو شاماشُ الأرعنُ في هيئةِ طفلْ، يحملُ كوناً في ديرِ القبطِ،
يتسامى فيما بين النهرينِ عذاباً نحو الأعلى]

امسك سِنَّ الحيّةِ، واعصر خُرّاجَ السمِّ زعافاً يمتصُّ الجدثَ
الراكدَ، والأرماسَ المبطوحةَ في تلِّ الآراميين؛
ارمِ سِنَّ الحيّةِ صوبَ الشمس،
ارمِ العمرَ الذاهلَ في جاروفِ اللحّادين،
ساومْ قبراً يفتحُ أشداقَ الموتى الآتين،
ادهنْ ثوبَ الحيّةِ صبّاغاً للحنّة،
رقّاشاً للوشمِ، ارسمه على توريقاتِ الشوكِ،
يعطيك الناصعَ من كفنِ الأمّة،

... في غابرِ سنواتِ الليلِ، يتقّولُ بدوٌ أودعَهم
ربُّ الرعيانِ رقيمَ ديارٍ يجهلها الألآف، وفي
غمرةِ شُحّ الماءِ تحفرُ آبارَ الزقورّات، يتدهدى
حجرٌ، يسَّاقطُ مبتعداً جبروتُ الجبِّ، ينيخُ
الجملُ المختبئ سنامَ الماءِ [.. يتخفى الماءُ
سراباً في أسنمةِ الجَمل، في الجحفلِ
يدعوه البدو زُبَىً، يتعطشُّ البدو الغرثى...]
يبركُ ما بين خطوطِ الخيلِ، [يتجنّبه الفارسُ،
أرعنُ من عَزْفِ الريح]،
يأكلُ زادَ الموتى باليمنى تحديداً،
[حيثُ الأيدي اليسرى ترحضُ بالغائط]
[أو ميّة رعيانٍ تتأكلّهم محبرةٌ
الاسقربوط،]
في غابرِ أيامِ النائم، والقلبُ الغافلُ
جيّاشٌ بالأسماءِ الحسنى، تمتدُّ الصحراءُ
سراباً لا يشفي الصديانَ، أو وحياً يتناهى
صوبَ دثارِ المزمّلِ،

... فطرتَ قلبي -يا غافي الموتى-،
فاترك جوادَ الريحِ يسبقني إلى حتفي،
نوّم له سمةَ الجنون،
بيدٍ لها سمةُ الجنون،
... كنا أطفالاً، نشجو من نهر، والزلُّ
يليق بنا، والسوسُ المتجذّرُ في شرشِ الموتى،
أو في المقبرةِ الأولى للتلِّ الرابضِ في ملكوتِ اللّه،
يبني فينا سعفَ الأكواخِ الأولى
[الرّقمُ الأولى لحضاراتِ الطين،
تشجيها ذاكرةُ الشاعرِ

أو ذاكرةُ الماء]
كنا أطفالاً، يومَ قتَلنا صلُّ الحيّة،
لكّنَّ شيوخَ «الخضرِ» أو عينَ الجنّة،
قالوا تمتمةً كاللوحِ المحفوظ:
هذا صلُّ الحيّة، طفلٌ ناغاه الموتُ وحاباه،
أطفالٌ مثلُ بني الأمِ الأولى،
لا تقتلْ نفساً لا تؤذيكَ بشاشتُها:
مِسحالُ الحية يذبح حتى سكّين الفدية،
يا هذا...
كنتُ الشريّر أنا، في هيئة أكفانِ الموتى،
لكن الحيّةَ [قال الشيخُ الأبيضُ، يلبسُ
أسراباً كالحلم،
نشوانَ من الأذكار الصوفيّة]
لكن الحيّةَ، رأسُ الحيّة، لا ينسى ثأراً،
يحثو القبرُ كطيرِ الهام
مطلولاً بريق دماءٍ
سافتها الأزمان.

يا ويلَ الشاعر،
يا ويلَ القاتل،
يتراءى الصلُّ - سرابُ المحبوب الأفعى-
جرابُ زعاف،
والشاعرُ يسري كالموتى،

ونعيقُ الشؤمِ يداري
اللحّادَ الفرحان،

[... في عزّ النومِ، والموتُ يحوّمُ فوق
رؤوسٍ تتقطّعها الأنفاسُ،
تأوي الحيةُ في ليلِ الصيهود،
تزحفُ، تتلّوى.. تتلّفتُ..
تنظرُ للغرماءِ مِراراً، وتتمتمُ سُّماً:
هذا قاتلُ صِلِّي!
وتضيءُ، تندبُ خَطّاً، يتراءى فيما بين النهرين]
هياماً،
تسحلُ ذكرى دربِ التبّانة،
تشحذُ سكينَ الفدية،
هذا قاتلُ صِلّي!
تفرغ سُّماً في قلبِ اللبنِ الخاثرِ، في
علبةِ خشبِ يصنعها البدو مراراً كي
تحفظَ سيروراتِ حياةِ تثكلها الأيام،
من لي بالحيّةِ، شريرّن كأبناءِ الإنسان،
من لي بالحيّةِ تذرفُ دمعاً والطفلُ
الإنسانُ يناغيها باللغةِ الأولى،
تبكي الحيّةُ دمعاً مدراراً
تذرف سرَّ الولدِ الأولِ،
بالكهفِ،

وبالبيتِ،
وبالسياطِ البدئيّ
من لي بالحيّةِ شريرّن -أيا آدم-
يطفرُ دمعٌ من عينِ الحيّةِ،
يطفرُ دمعٌ وَسْنانٌ من سُمِّ الحيّة،
ترأفُ، تكشُّ أسنانَ المشطِ المُوْهَبِ
شغفاً بالكهفِ الأول،
يصيحُ، يثغو، يناغي مِسحالَ الحيّة:
أنا الشريّرُ،
أنا القاتلُ صلَّ الحيّة،
وأنا الغائمُ عريانُ أمام مفاتنها،
تتركني الحيّةُ،
أتلّوى في دعةِ الحالم...
بكى النوّامُ وجداً على طللِ تباعد في ثنايا الحلم،
بكى الغافون وَسْنانينَ من حلمٍ تهدهدهُ المنافي،

... يرسمُ وجهُ النائمِ، سيّان وجوهَ الموتى،
أو يرسمُ أغنيةً تتسامى بالموت،
أعرابيّ أسمتُه الدنيا طوفاناً، فتداعى
-ملتاثاً- بالحكمةِ،
أنّي اتنثّرُ أطيافي يا هذا، واللونُ يساورُ
عشاقاً تضنيهم زفراتُ الحَرْمل،

كان بعيداً، يتهجّى طللَ النواميّن،
يداعبُ شفقاً مكتومَ الضوءِ، يضيءُ
العتماتِ الجلىّ بالأخبارِ السفلى عن عَتمٍ يتراءى
في هيئةِ محرابٍ يتعثّره بقايا البدو الرُحّلِ،
فيما كان الراسمُ يقتاتُ مذابحَ عشرتَهُ،
والأهلونَ -تباعاً- يرتحلونَ في دوخةَ مداحيّن
لعهدٍ يذبلُ كالحسراتِ،
يرسمُ وجهَ النائمِ، أو يرسمُ وجهَ الموتى،
سيّان يداعبُ ريشتَهُ الثكلى،
سيّان يداعبُ أمواتاً كَذُبالِ النعيم،
هذي أطيافي يا هذا،
«مرياعي» في أولِ معنىً للشعراء،
تساورني الغنمُ ثغاءً ممروراً للكلمات،
بغامُ الأرواحِ يسدي في الصيفِ الصاهد،
ألفاظاً حرّى،
تتقرّى ما استنبتْ كبشُ الفديةِ، من معنىً
للروح،
حتى حوشيّ اللفظِ وطراوةِ دمعتِهِ، تتدلّى
من عرقوبِ الوسنِ الأولِ، تذبلُ شمعتَه،
تتلألأ -أنفاساً- من سَكرةِ روحٍ،
تتأججّها أرضينَ الغيمِ الأول
[... يرسمُ وجهَ النائمِ، أو يرسمُ وجهَ الموتى،

سيّان يداعبُ هبّاتِ الريحِ الناثرةِ دماءُ
النّوام،
يرسمُ وجهَ النائم أو يرسمُ وجهَ الموتى...]
«النائمُ يرى مالا يراه اليقظان[2]»
دلاّهُ في القبر، ممسوساً من الكلمات، شلواً رماه،
وعذّبه
[للعذابِ الجميلِ ألوانُهُ المُشتهاة].
يسأله النكّارُ الأوّلُ عن سرّ العذاب الصوفيّ، وعن
سرّ الإنسان،
يراودهُ حيناً ترغيباً بالذهبِ الأحمر،
أو ترهيباً بالكبريتِ الأحمر،
والأمر -في كلِّ تكايا الوجدِ-مُدان!
نحن الرحمانيّونَ إلهي!
نتباركُ باسمكَ قُدوّساً،
«كانَ اللّهُ، ولا في البريّة أحدٌ كان»،
في الصورِ ننادي:
نحنُ يتامى اللّه،
في هذا الزمنِ الطاغوت،
في هذا الزمنِ الرهبوت،
ثكالى نستجدي قُدّاسَ الشاهدِ،
نستحلي الأكفانَ،

---

[2] ابن عربي، الفتوحات المكية.

نرّتل آياتِ الجنّاز،
نلتذّ مشاشَ الروح،
ننخره نقي عظامَ درسَتَها «الزقورّات»،

... كانَ الشيخُ مهاناً. تَخضلُّ اللحيةُ دمعاً وبكاء،
يرتعشُ القلبُ صلاةً،
يسجدُ فرحاناً للزامرِ داوودَ،
«افرح يا عبدي، فاللّهُ يحبُّ الفرحان»،
لكّن الحزنَ طغى! تفغمهُ دوماً -رائحةُ الموت-
«لا تأخذني سِنَةٌ، والنّوامُ الأمواتُ شهودي!»
يسبلُ عينيهِ سراباً والجفنُ حديد،
والحلمُ يواسيه دوماً،
فالكابوسُ الجاثمُ ديدنه،
والقبرُ الفاغرُ فاه، سرابٌ مثلُ الدنيا،
يرسمٌ -حِيناً- آفاقاً أخرى،
لكِنَّ الكلَّ هَباءً،
والدنيا قبضُ الريح،
شكى الدمعُ مني انثيالَ القلوبِ، رماني النواحُ،
ونحتُ هديلاً بطوقِ الحمامةِ،
لكنْ،
تحاماني الأقربون،
والذئبُ ما استباحَ دمي، والعشائرُ تمتدحُ

الصفةَ المسترابةَ
والإخوةُ الذاهلونَ يتامى ببابي،
شكى الدمعُ من جفوتي، والرماحُ التي ناوشتني
تباعاً،
تركتْ جرحَها فاغراً،
أين لي؟
من يبعثرُ روحيَ كي لا تغيبَ سدىً،
في الغياهب؟
من عاتبِ الدمع؟
حفّارُ سيلٍ كي لا تغيبَ المياهُ الرؤومة؟
من نادمَ الأصدقاءَ يتامى؟
وعاتبَ بالشغفِ المشتهى،
ناعساتِ العذارى،
اشتهاءَ المواسم،
من ذبّحَ المُشتهى من ثغورِ الولاية،
وعاتبَ -باللحظةِ المسترابةِ- طيرَ المنافي،
واكتفى بالصحارى حصوناً.
يداري الغزاة،
طافراً بالدمعِ، جابَ آفاقَ الرمالِ،
واستوى يستاف سَفّود المرايا،
يجتبي العرشَ المعنّى،
ينطفي من دمعةٍ حرَّى، تسري على طللٍ تدبّجه

سيولُ الحبرِ معنىً للهباء.
يقتفي خلاّنَهُ موتاً، ووَسْنانِين من سُمّ الأفاعي،
يقرعونَ الدُّفّ والحزرَ الملّون،
والبخورَ الصاعدَ الأنفاس،
شاجياً كنّارة السريان،
أغفو، وتنغزني الخناجرُ:
شهوةُ الموتى نغنّي النومَ يا سُمَّ المرقَّطِ،
وحّدِ الرحمانَ، واستغفرْ ضحايا الأمس،
لا سِنَةٌ ولا نومٌ تغافلها الحرابُ الذابلات،
تغريدُ بيدٍ يصطفي النّوامَ ممسوسين بالرُّقمِ
الذبيحة،
كانَ بالأمسُ اصطبارَ الدمعِ يغلبُهُ النعاسُ
المرّ،
في هِجراتِه الأولى يسفُّ الحنظلَ الدامي،
دافوه رعاةُ الإبلِ جمريّاً ببعرِ النوق،
ينتشي باللثغةِ الأولى،
تسبيحةُ الرحمنِ ترميه ذبيحَ الوَجْد،
يغفو على سُنن الشريعةِ، يهتدي بالبدو آثاراً
على طفِّ الفراتِ الثّر،
غافياً في وسطَ أحلامِ الحماد،
ينشدُ التكوينَ في السّفرِ المضمّخِ بالتراتيلِ التليدةِ:
روحي،

روحي ترفُّ على الرمالْ،
والكونُ ظُلمة
أمّا فيما بين الظلِّ وبيني،
لوابّاً كنتُ أجوسُ الموتى عن قطرةِ ماء،
في الحلمِ تراءى لي،
في النومِ تراءى لي، غِضار «النهرين» سَراباً،
أطيافُ بداةٍ ما زالوا يرتحلون،
يرمون المجدورَ شتاتاً حتى تتأكلّه شوحاتُ البرَّ،
يتفسّخُ شلواً، شلواً،
حتى يغدو قوتاً لعطاءاتِ الصحراء،
وأنا كالمسعورِ أرتّلُ شذراتِ من سِفْر النّوام :
[.. يا أيها الموتى -دموعاً غرّقتْ أجداثكم-
كيف السبيلُ إلى الحياة الفانيه،]
يرمي ما بين قذالِ جدائلِهِ، زقوّرةَ آراميين،
جنائنَ بابل،
علقّها الدّيانُ مراراً آيةَ صنعتهِ المُثلى،

... ماذا يفعلُ هذا النائمُ مطرحُ «أور»
الكلدانيين،
أو ماذا يفعلُ هذا الميّتُ -فَرحاناً-
بغزالةِ «أنكيدو» ...؛
في اليومِ الشاتي، أو في اليومِ الصائفِ،

أو في ديمومة قيظٍ [تتقطّعه عبراتُ الصهود]،
سيان تمرّ الأزمانُ، وقتُ الإنشادِ القيثاريّ،
لزمّاراتِ الرعيان، أو ترقاصُ أفاعي الهندِ، أو نثارُ
الماءِ المتراكضِ مسحوراً يتقّفى كنّارة «أورفيوس»،
يومُ يمرُ الأطفالُ [كنّا أطفالَ الريحِ، حُرّاسُ ثغورِ
الترك]، ذكرى المذبحةِ الأولى، والسفكِ الدامي
لـ «المرياع»، يقرعُ أجراسَ الذاكرة المثلى،
يتهفهف منّا في الزّلِ الرابي حدَّ الصحراء،
شجرُ الذكرى، أثمارُ المنّ، وطيورُ السلوى،
[القوتُ الموعودُ لعشائرَ قيافيّن، مازالَ التَيهُ
يترامى -محفوراً- بين أغانيهم،
تترددُ بين خفيضِ الأشواكِ الغُرنوقة، تأتي
من «قبّة ويسٍ» كي تسمو فوقَ الزلّ،
والرخمةُ تسمو فوق طيورِ السلوى، يسامرها
السوسُ مراراً. كي تعلو فوق الريشِ الأزغب.
كنّا محض توابيتَ، «معّدية» الغرقانين!
والنوتّي الأكمهُ، كان يقود المركبَ صوبَ قبورِ الماء،
من غافلَ هذا الدّم؟
ورمى الصحراءَ جنونا،
غازل أسرار البيدِ،
إلى أين تمضي؟
إلى أين تمضي؟

وقد نشَّ نهرُ البُليخ نشيجاً عليك،
إلى أين تمضي؟
وأترابك السالفون - تحتَ القبورِ الدوائر-
يشدون شجواً حنوناً أغاني العذابَ
على مقلتيك.
إلى أين تمضي؟
والعجوزُ الفريدُ المغنّي الذي صاغَ كل
عتابا البليخِ الشريدَ، يموتُ حزيناً عليك.
إلى أين تمضي؟
ومُهرُكَ يحمل قلباً مدمّى
وفي يومِ أوبتهِ المستريبةِ عادَ طريداً شديداً
بدونك وأجفلَ يومَ بكتْكَ العشيرة،
ماتَ دموعاً عليك.
إلى أين تمضي؟
فُراتُكَ ما عادَ عذباً،
وكلُّ المياهِ حَرامٌ عليك.
إلى أين تمضي؟

جُثتي هيَّابَةٌ

قصيدة لم تكتمل

قد أعطينا ما تصبو النفسُ إليه، لكنّا ضِداً في المشغولِ الأعلى، قد
حرّمنا النفسَ على التصعيد،
فأَقْعَينا في الآخرةِ نقتاتُ هباءَ الروح
خارجَ سربٍ من خارجِ توقيتِ الأزل

بشـــرٌ من علياءِ المطلقِ، وشـــمولُ المطلقِ وتحبـاسُ اللثغِ المطلقِ،
أسـبلناه ولهانينَ -اسـتثناءً للشـذراتِ- لأسـبابٍ يجهلُها الكلُّ؛ لكنَّ
الزمنَ سيجلوها، مع بعضِ الشدّةِ كي يتلّوى عرموطَ الماءِ،
يصلون عذاباً،
يصلون ناراً،
يتعالى سَناها،
[مَن جارَانا في التشكيكِ؟
ومَن حَابانا في الطعنِ الأول؟]
ستّسودُ مباهيجُ الأزرقِ، وهذا ما يغبطهُ نكّارُ القبر،
ستشعلنا النارُ،

سقرٌ،
جهّنمٌ،
إلى جنّاتِ السلسالِ،
بل بهدوءٍ تتقطّعهُ أطواراً أطيافُ الجنّ،
لكنّ الموتَ هباء،
أشدو سرعاناً، وآخذُ من ذيّاكَ الراحلِ عبراتِ الممسوسين،
أجتاز «حِوارَ» البعرانِ، ثغاءَ الموتى،
والمعنى المتروكَ لِماماً، في طفِّ الجاحظ،
أو صنو اللغويين،
إثراءً للوهَجِ، وشُعشاع المعنى،
جماعُ الشذراتِ،
مسكونٌ بالوجدانِ، بالقلقِ الأزليّ،
أترامى يمَّ شواريدَ المتنبي،
يرميني الأبكمُ بالعته،
سأسرد مهتاجاً فيما بين النفسِ وبيني،
كمالاتِ المجذومينَ، ما فتئتْ نرميها للشذراتِ

المخرومةِ، عن طفِّ الجاحظ،
أشهد أنّي نكّارُ الكثرة،
حيث يترامى الأعرابي، يحمل صرّةَ ألفاظ،
يرميها للشاري قصداً،
يتلقفها الأكمهُ منظاراً أوحدَ للسحّارين،
يقلّب جمرَ المعنى -فحّاماً- في سفّودِ الألفاظ،
يتداعى صوبِ الإنسان الملغى من جنباتِ القاموس،
يجعرُ بصُراحِ القولِ، من أنَّ الإنسانَ، لهاّثاً نثراتِ السُمّ،
وأقولُ جهاراً:
بالرغمِ من طورِ التعريفِ، طورِ العلمِ الأولِ، والعلمِ الباطن،
مازالَ يهزلُ أو ينحلُ، وأكثرَ من هذا
في نفس الترهيبِ تماماً، ولعينِ الأسبابِ المجهولةِ رغماً،
وحتى في عزّ السيلِ الدافقِ،
[وتعاطي الأنشوطاتِ، أقراص الرّهجِ، ورعاشِ التبكيت]
سأثرثرُ عندَ مقولِ القول،
في عينِ التعذيبِ تماماً،
أو في محوِ الذات،
سأتضاءل رغماً عن أكاّرِ العرض،
وأعودُ سربَ طيورٍ غرثى،
تشري أقواتَ الحوصل،
وتفقدُ عاراً أو زقوةَ صداحين،

أتجلّى في برديّ النيل
وطمي النهرِ العيذاب،
أتقلّبُ -جمراً- فوق بيادقِ سدِ النار،
وسأهذر عرياناً عندَ مقولِ القول،
ولعينِ الأسبابِ المجهولةِ في سفرِ التكوين،
تتشاطئ عند مصبِ النفسِ تماماً،
لكنّ التيهَ سيجلوها،
شلواً يرميها،
عند مغيبِ الحَرِّ الصادي،
[سيتلاشى عارُ العمرِ، ذبالةَ عينِ الكمهيّ]
فالخسرانُ عن الرأسِ الواحدِ منذ مواتِ عصورِ النهضة،
ما يعدلُ نصفَ ذراعٍ من قِسْطَانِ كلمة،
أو فرسخَ عارٍ، فالأرقامُ الصّماءُ في مفرقِ تاجِ الذلِ تنطق
عاريةً في أردبِّ الجور مثالاتُ القولِ لاكتْهَا الألسنُ،
لا يدريها البعضُ، وبالمنظارِ فإنَ الخطرَ المقبل،
تدميراً في بوتقةِ الجمع،
يحرثُ أرضينَ الليل،
أرضينَ الرّمس،
وفي السنواتِ المجنونةِ
ينشُّ النهرَ المنسابَ عذاباً.

الرقة التي على الفرات
1998 / 5 / 22

هايكو صحارى الجنون

[1]

نَبْتُ الشوكِ الواخِزِ في القلبِ الفاجعِ
طولَ العمرِ،
ما زالَ يُظَلِّلُ تربةَ قبري الوادعْ.

[2]

من حليبِ النوقِ، من جوفِ الوريدِ،
انْطَفَتْ أنفاسيَ السَّكْرى،
على ذِكرى «المريدِ».

[3]

هذي هي الصحراءُ تُشْعِلنا يا ديرة الخُلَّانْ
هي هي الأيام كالبرقِ
المُميتِ، تقتلُ الإنسانَ في الإنسان.

[4]

نوحي حمامُ الدَّوحِ أشجاناً على شيخِ البوادي
واهْدلي - سبحانَ ربِّي-
عبدُكِ المقتولُ –وِجداناً- إذا نادى المنادي.

[5]

هذي الحمائِمُ تُشجيني، أمْ أنَّها الريحُ؟
أمْ أنَّها الصحراءُ سامتْني العذوبَةَ؟
وأنا المُجَمَّمُ يا ربِّي: تباريحٌ تباريحُ

[6]

يا صحاري «الدّوِّ» إني لاهثٌ، صديانُ – أجتابُ السرابا،
وأنا اللائِبُ عن عَبْرَةِ ماءٍ.
أتقرَّى الطللَ الدارسَ، والبدو اليَبَابا.

[7]

اعْجِنِ الفخَّارَ سِجيلاً على طفِّ الفراتِ،
قيْثِرِ الكنّار شجواً.
رَتِّلَ القرآنَ ترتيلاً فقد حانَ مماتي.

[8]

هذي المواجيدُ، عزفُ الرِّيح؟ أم شجو التسابيحِ؟
تلهو بنا البيدُ –شجوانينَ- من عَطَشٍ،
هذي المواجيدُ، يرميها اليراعُ المرُّ، تشجيها تصاريحي.

[9]

على هَدْي الحنينِ المُرِّ، تَنْذَبِحُ القوافلْ،
تقتفي آثارَ أسلافٍ ثُكالى،
من لهذي الناقة الثكلى، أيا: جَمَل المحَامِلْ.

[10]

في البيدِ أمشي، وفي الصِهودِ ساورني الجنونْ.
أقتَفي آثارَ رِمْسٍ دارسٍ،
في القبرِ أمشي، وفي الصِهودِ شاهدةُ المنونْ.

[11]

شَدَهَتْني الجِمالُ الحزينةُ بالسَّنَمِ المُسْتَريبِ،
بـ «صفيرها» الشَّائكِ المُرِّ،
بالهياجِ الحَرونِ –حنينُ النياقِ- المُريبِ.

[12]

يلوبُ الصوفيُّ الكونَ صحارى حول الذاتِ،
ينْفَطِرُ هُياماً،
تتأرجٌ جُبَّتُهُ، حلولاً ما بين الشوكِ، وما بين الرِّمسِ الآتي.

[13]

هذي هي الكأسُ سَكْرَى يا نخلة الخَمَّارْ.
روَّادُها المجنونُ والمجذوبُ والـ.....
هذي ثُمالُ الروحِ، والدارُ لا دَيَّارْ.

زول أمير شرقي

1990

موت الشاعر

ومَرَرْتَ بهمْ..

الأعلام السـوداء ترفرفُ، لا أعلامَ الخراسـانيَّ، وأبي العباسَ، ولا العباسـيينَ، أسـنانُهم ناصـعةُ البياضِ، مسـودةٌ من الخَلفِ، منَ الضجيج الإعلامي.

ومَرَرْتَ بهمْ..

في الشـوارِعِ النتنةِ، أوراقُهمْ مُصـفَرَّةٌ، والخريف يشـمل كل الفصـول
إذنْ أين مررتَ؟

مررتَ إلى «أويس القرني» ودارتْ أُمُكَ حولَ المقام بخشوع تقديسي، وكنتَ تنظر ببلاهةِ الأمير(ميشكين) إلى القبة العالية، والشاش الأخضرُ الذي يغطي الجدار ومسحَ الحاجبُ رأسكَ بالزيتِ، وكذلك يديكَ، ودعا الله بأن تشفى، فمرضْتَ.

ومَرَرْتَ بالقرى تبحث عن شيخ غَضِبِ على أهلك منذ سنين، ووقعَ المرضُ عليكَ، وصنعَ لك شيخٌ آخر حجاباً و«ودْعاً»، تُعلقْهُ على صدركَ، وتخفي أسراره عن الناس.

إذنْ. أينَ مَرَرْتَ؟

لعلكَ لا تعرف الأدب والأُحجيات،
ولا تقرأ الكتبَ الممنوعةَ،
لعلكَ لم تقرأ قصيدة النثر،
رُحْتَ تعلقها بدلَ الآياتِ التقديسية،
ورْحتَ تشطب شعر «الخليل»،
«يا عجباً من يذبح البقر في الهندِ؟»
«مَنْ مِنَ النساء، تذبحُ الدوابَ في صحرائنا؟»

إذن أين مَرَرْتَ؟.

الحكاياتُ الشــعبيةُ لا تســتقيها، يحكي لك الرجالُ الكبارُ الحكاية، فيطردكَ والدكَ من المجالسِ، وتصغي بأذنيك الأرنبيتين إليهم:
ذهبَ بدويٌّ ورعى الجِمالَ سنينَ
وقال له صاحبُ البيتِ:
«أعطني أجركَ أُعطِكَ نصائح ثلاثاً».
فقبلَتْ بساطةُ البدَويِّ، مساحةَ النصائحَ.

قالَ لهُ:

«لا ترافقِ الأعورَ».

وكنتَ بعينٍ واحدةٍ، فبكيتْ.

«ولا تنمْ إلا على رأسِ الجبلِ».

ونسيتَ النصيحةَ الثالثةَ.

ونامَ على رأسِ الجبلِ، ففاض السـيلُ، وجرفَ الناسَ مَعَهُ ونجوتَ أنـتَ، ورافقـتَ الأعور بحـذرٍ، ولم تنمْ جَنْبَـهُ، فوضـعْتَ، فزّاعـةً، وراقبتهُ، فضربَ الفزَّاعةَ، فعرفتَ خيانتهُ، فقتلتهُ.

يا لكَ من شرهٍ للحكايات الشعبية.

وترفعُ صــوتكَ الوجداني، في عـالم خـالٍ من النصـــائحِ، وتتـذكر الحكايات، وتسمعُ صوتاً ريفياً، وتتذكرُ الأغاني، لا الرقصُ جاءَ، ولا عالمك الترفيُّ ذاك بدا. كنت تهز رأسـكَ كالمجنونِ، وعندما جَرّوكَ إلى وســط الســاحة، بدأتَ تنســجُ الرقصَ، فتفتحُ فاك الفاغر تقلدُ أصــوات الدببة، وكان الضـحك يتعالى من وســط الأكوام الأنثوية السوداءْ.

إذن أين مررتَ

لا الفلاحين ذكرتَهم، وورقة التوتِ لم تسترِ العريَ.

قل لي لمن تكتبْ؟

لعلكَ لا تعرف قصـــائدنا، وحكوماتنا المتعاقبة، لعلك تعيش في العالمِ الوهميِّ للشعر، لا تقرأ النقد وتمشي إثْرَ الليل.

أنت الذي مَرَرْتَ بهم؟

سـجلـكَ الـدوليُّ فـارغٌ، والأمميـةُ لم تعترفْ بـكَ، ويتضـاحـكُ المسـتعمرون على أصـوات الملاعقِ، ويأكلون طعامكَ، وتأكل الترابَ ويتهمونكَ بالتخلفِ.

عشتَ معهم.

في قريتكَ الأثريةِ، تتدربون على السباحةِ في الأنهار المعتمةِ، والأجسادُ العارية الصغيرة التي يتلاصق الجسدُ فيها، وتعتمر التشويهات مكاناً رحباً في الجسد الأسطواني، وتختلطُ أصواتُ الحيواناتِ، والكلاب الأهلية مع أصوات الملاعق على الصحون الفارغة، وصراخُ الأطفال الجوعى في حرّ الصيف، وذبابُ المغربِ، والفراشاتُ القارصةُ التي بعثتها الدولةُ.

عشتَ معهم؟

وجسـدك المكوي بالنارِ، والإبرْةُ التي خَرَزَتْ عينكَ، وحرقُ البطنِ الذي شوَّه جسدك الإفريقي، وأنفكَ الذي يحتل مساحةَ وجهكَ، لا تتذكر كبير الأنف الروسي، ولا التماثيل البابلية، ولا حمورابي وأنفهُ الحجريّ، وأذنك التي زارها الصمم واستقر ضيفاً عندها، لا تسمع ظلام العالم ولا ضجيجه، إلا من شـعرك المتجعد، وفروة رأسك التي لا تعرف الاستقرار، ويديكَ اللتين تشهدان على العظمِ الإنساني، وأظافرك الوسخة التي تضعها في فمكَ البئري، ويـقول عنك «فرويد» إنك تبادر إلى الجنس، يا لفرويد الشرقي الذي يقطن قرانا..

وتحلم بشـــهوانية الجســـدِ، وتمارس العادات الســـرية حتى في رَثِّكَ البالي، وتتطلع إلى الكتب الجنســية. عضــوك التناســلي الذي حكم عليه الإقطاعيون بالضـــمور، والذين وضـــعوك في مرتبةِ البغل (يا للحظ التمدني)، وأخرجوا ما تحت عضـــوك بالإبرة الألومونيومية، كما يفعلون مع الحصان، وقالوا في بلاهةٍ:

«لكي لا يضاجعَ الأميرةَ».

أنت يا من تركض وراء القططِ، وأذيالِ الكلابِ، وتشــربَ اللبن في حفرة الأرضِ، وتأكل الشوك الطري مع الجمالِ، وتغتسل بماءِ النهر الوسخ،

كيف تضاجع الأميرة؟

عشْتَ معهم؟

أين عشْتَ، قل لي: في «طوال العبا»، أم على ضفة البليخ؟ ولماذا تأتي إلى المدينة مُحَمَّلاً بالقمل والقُرَادِ؟ وعيونك المتطلعة نحو قاعِ البئرِ، هل تريد اكتشاف صورة فتاة الماء التي حكوا عنها؟ وهل صفاء وجهكَ يستأهلُ الماء، يا ذا الوجه المشوه؟

عشتَ معهم؟

وحكوا لك عن النار، وقلتَ أصــلي حتى الضــحى، فلماذا أصــلي على نار الحجر، ووصــفوا لك البُراقَ، وعندما رأيت الســيارات، نفضْــتَ رأســك، حتى لا تقارب صــورتهُ مع الصــور الدنيوية، وعندما قالوا ســنطلع إلى القمر، هَزِأْتَ من الكفار، وظننت نفســك كافراً تصــلي على نار الحجر.

عشتَ معهم؟

والجنةُ وصفوها لك، ورفعت ثوبك، وبقايا شهوتك الجنسية مازالت ترتعش، وعشت في أحلام مع حوريات الجنانِ، وشربت اللبن، ورأيت أنهار العسل، لكنك لم تقتربْ، وقبَّلْتَ الخادمة، وشاجرتها على الحذاء اللامع وجواربك المرتَّقة طلبتَ الذهب عوضاً عنها، وأتيْتَ بالسريرِ واستلقيْتَ عليه وصفّقْتَ بيديك كالأمراء القدامى وجاءتْكَ الحوريات، واخترْتَ ملكةً للجمالِ وتوجتها على سريرك، فتعرَّى جلدك الأسود، وعندما أتتكَ تفاحة طائرة وضربت وجهك، استيقظْتَ على نفسك بين الأقدام الثقيلةِ.

مَرَرْتَ بهم؟

رحلتك إلى العالم السفليّ، مصادفتك لـــ «أنكيدو» لم تكن طيبةً، وشربتَ من صاحبة الحانة كأساً من النبيذ واتبعتها بعشْرٍ، ونظرتَ بولهٍ إلى صدرِ العاهرةِ التي ضاجعها «أنكيدو»، ولكنك لم تتحول إلى بشرٍ في سجل الأمم المتحدة.

رأيت اليونان، والجرة المتحفيّة ذات السم، وكتاب الجمهورية، وزرت «هوميروس» ومررت على التتار، وزرت ذا الساقين وذا الساق الواحدة، ومَرَرْتَ على الأتراك، وعلى العرب مَرَرْتَ، ورأيت صورة «امرئ القيس» والحوض الذي سبح فيه مع الحسان، و«أدونيس» الذي دوخنا برائحة البصل.

ومَرَرْتَ على الجحيم، وطبخوا رأســك بالماء المغلي، وأعادوا جلدك، وطبخوك، وأعطوك القدرة على المشي، وأعطوك القدرة على تحمل العذاب، ولكنك..

مَرَرْتَ بهم؟

أنت من تكتب، وتؤطرني في اللوحات الصينية، وتقول عن العجل ولداً، ولا تعرف الأقلام المصفحة، والله لا تعرف موضعه، وتقول إنك عالمٌ بالأشياء، وينظر إليك «أبو الأسود الدؤلي» على الأخطاء النحوية فيغضب من الإطارات المحنطة، وتنظر إليك أعمدة الحكمة السبعة، وعلى القوافي، ويصدون العصر، ويمسكونه، ويخلطونه مع مخاط الأنف، وأطفال النمل، والنحل وطنينه، وبيضةُ الرخ.

مَرَرْتَ بهم؟

وبعد مرورك بالأقدام الثقيلة، والإذاعات التي لا تصمت، وضعت نفسك، وإحساسك، وشعورك وخيالاتك الإدراكية، وأظافرك، وشعر يديكَ، في محرقةٍ لم ترها في وادي الجحيم، وصببت على

نفسك سائلاً من حيث لا تدري، وتبرّكت بأسماء لا تعرفها، وطلبت من الأقلام أن تكتب عنك، والمحرقة تطبخ جلد رأسك، وبواقي مفاصلك، وصديقك ينظر إليك، ودارت بك المحرقة الدورات اللامنتهية، وأخرجتك من الشمعدانات المريمية، ومسحوا جلدك ورأسك بالزيت، ومَرَرْتَ على صحراء سيناء، وخاطبتَ موسى، وحفظت صوته في علبٍ على الطور، ولثغْتَ بأسماء لا يعرفها البشر، وغدوتَ طفلاً ونسيت الأعلام والأسنان، ورأيت النور ينبع من الأماكنِ، وبهرتك الأضواء، وحكيت عن اللامرئيات، فوضعوك على الحجر، ومسحوا رأسك، وأتوا بالماء، وغسلوا جسدك النجس، وسملوا عينيك، وواروك القبر، وعندما أردت الصراخ:

بحثتَ عن لسانك طويلاً

الرَّقة

18/ 10/ 1980

موت الإله الطيب

رفعَ يديهِ إلى السماءِ، صائحاً:

يا ربي.

وجاءَ إلى قرية النمل، وحيَّاهُ جنود «سُليمان»، ورفع كيس زاده، وقطع «سمرقند» من «بُخارى»، وعَلِقتْ به نملةٌ، فبكى على المصير، فآب من الفيافي، فآنستْهُ النملةُ، ورفع يديه إلى السماء، كانت شاهدة قبره تبكي عليه، كان البدو يتعبدون الأفقَ، ويأكلون لحومهم، وتأكلهم الأرض، كان البدو يشربون سرابهم، ويموتون من اللهاثْ.

بناتُ نعشٍ غربان سبعةٌ، يتّشحْنَ الأسود، ويحملن صندوقاً خشبياً لا ينبض كقلبي.

من قال إن السبعة يستنجدن «سُهيلاً» النجم اللامع؟ باطلٌ ما تقوّلته المسنّات.

باطل ما تقوّلتْهُ العجائزُ في مســـاءِ القرى، كنا نجلس، ردائي إلى يميني، ردائي الذي أقتاتُ منه على موائد الصـــديقات (فيما بعد اكتشفت أنها لعبةٌ، لا، فالبريد لا يحمل الرغبة، اســـتسهالٌ شعريٌ كاذبٌ للّغةِ الواضحةِ)، تجلس على الكرسيّ، تفصلك المسافات على الإناثِ، وتضحك في ســريرك، البدو لا يجلســون إلاّ على الحُصْــرِ والبُسْطِ، وأرضهم الإلهية.

همو البدو يخبنون المسافة للعصر

همو البدو يخبنون المسافة للزيف.

(الرؤوس ثابتةٌ تنغرزُ، تتحرك الأرجل إلى الماء)، هذا ما كنت ألحظه عن البعد، بل إنني كنت بين الأظافر، عشــت الطفولةَ بين ســرائر البدو، وقيعان القرى، والتقطت براز الخليقة، والصَــوْنِ، والبَعْرِ، للشــونةِ، (كنا نقايضــهم ســكراً ببعرٍ، وكنت أختلس النظر لأفخاذِ النوقِ)، وأشــمر عن إليتيَّ، وأرســم آثارهُنَّ على الأديمِ كخُفِّ البعير، هي الإبْلُ مشقوقةُ الشفتين، تضاحكَ غربانها والجرادْ.

همو البدو يعتمرون الضــمائرَ والجلســةَ العربيةَ، والرُفَّةَ وخلال الحديدِ، وينادون على السُــحْتِ، والبُهْمِ، والنوقِ ويَنْحَوْنَ إلى الماء، مُسْتَصْحِبيْنَ الحداءَ القديمَ.

همو البدو يرتقصــون (الدحا) كما الديكُ يعلن عـــــــــن موتهِ، ويمتشـــقونَ العصــيَّ القـديمـةَ، وثـاراتهمْ في الرأس، همو النخوةُ الآدميةُ ممزوجة بالأسى.

ليس عندي إلا عصاي، أهش بها على ظلالي وأشباحي السود، ليس عندي إلا عصاي أهش بها على الإله الطيب ذي السنن الصغيرة والكبيرة، وعلى قلبي ذي الأوتار المشدودة إلى (يذبل).

كان الإله يَضْــبَحُ، وســـأحكي لك الحكاية من أولها إلى آخرها، فقد كان ينظر إليَّ، وكنت خائفاً ـــ الكلب الذي تلمع عيناه، ويشــع منهما النور والبريق في اللــــيل ـــ وكان يتراجع إلى الوراء حَذِراً مني، وكنت خائفاً منه، ولقد صَـفَفْتُ الحَجَراتِ واحدةً إثْر أخرى، وضـاحكتهن كثيراً، حتى اســـتلقيـت على ظهري، لقـد كنـا نحن الاثنين نخـاف بعضنا، أنا الوديع كالإله الطيب، وكلب الأغنام الصامت الحذر.

الحكاية تبدأ من سُـرَر النسـاءِ، وأدغـــال زوايانا في البليخ، إذْ كانت عيدان الزَلِّ بعد لم تلتمس الأغصـــان، وتجار «الطُريِّشِ» بعد لم يـأتوا، والله كان بعـد لم يسـجـد لنفسـه، ولم يكن معبوداً بين الحيوانات، يا لك من حذر يا صـــديقي غلوكون، إذ قال مرةً، آه.. أذكر ذلك، أذكره جيداً مثلما أذكر بقايا الوسخ على الجلد، وفحيح الأفاعي على القنطرة، عندما كنت أعاشــرها بالحطب، وصــمْت العجوز في نعشــه، والدكاكين الصــغيرة على ضــفاف القرى، أذكر جيداً، لا تسـتطيع أبداً يا صـديق سـقراط المبجل، أن تأتي بمرآتك المحـدبـة، لا ولا المقعرة، هـات شــرطـك، ولنتراهن، أنـا الجرذ، والصـوص والقنفذ، وطائر الليل، وديك الحبش أو الديك المصري، في قرانا، أنا ذاك الإله الطيب من عـالمنا الثالث، وأنت من عـالمنا البائد في الحضارات السالفة، لنتراهن على كأس مشروب من العالم الثالث، أنت تضــع يدك، وأنا أضــع يدي، وليســلم علينا قديســك الوثني، وشـيخنا العزيز، الذي يحب الإله، ويحب وضـع الأيدي على النســاء، وعلى بعضــها بعضــاً، ولنتراهن أيها العزيز، وامرأة العزيز تفتقد العضو الذكري، وتصيح في هذه الصحراء، وتصيح أيضاً في القفر، تنادي على عالمنا، وتنادي على الذكورة، ويوســف يســبّح في حمدنا، أنت لا تستطيع أن تأتي بمرآتك إلى هنا.

كيف تعكس الأحاسيس؟ ومرآتك المقعرة لا تعكس الأشجار، لا، ولا تلافيف الدماغ، وكيف توافق على منح الإله أوسمةً من العالم الثالث، وكيف تتجول في أزقة قرانا، لا تخاف البعوض، وتنظر إلى النفاثات، وتضحك.

الحكاية تبدأ من سُـــرَرِ النساء، وننتهي عند إلهك الطيب، وعندما تمســـــك بالعصـا، تهشُّ بها على غَنمك، تتذكر فصـلاً من الهواء والدمار يجري على الساحة، وتقرأ الجرائد اليومية، والصحف التي تباع في العصر الجاهلي.

يا غلوكون، يا عزيزي الطيب، أفلاطون يكتب مذكراته على جبل الأولمب، وأنا لم اعد أتذكر ما كتب من البرمنيذس وحتى الجمهورية الموقرة، وكيف تُحَمّلُ القرى، برج المذابح؟ والمدن لمّا تزل مفتوحة، مسالخها، وحاناتها، وتحلف بإلهك الطيب عن مذابحنا، ونحلف نحن عن براءتنا، هل قرأت يوماً ما قالته الطبيعة لذوينا؟ وما قاله ذوونا للأجداد، والأحفاد، لنتراهن على الحياة العريضة، لنتراهن على الآسنة، المياه، والنار، وعناصر الطبيعة كما وردت في سواد العراق.

لنكسب رهاننا، ونضاجع حيواناتنا كما نفعل في القرى يوم كنا صغاراً، وكما يضاجع المتمدنون كلابهم الأنيقة، لنُعلّمْ حضارتنا، ونضع نقاط اليأس، ونمط الإنتاج الآسيوي، ولنقلْ صراحةً إنَّ للعبدِ أسناناً بيضاً، وإن له أنياباً، ولنقلْ إن لنا ذيولاً في عقولنا.

لنفتخرْ بمدينتنا إزاء الوحوش، ولنذهب إلى الغابة نصطاد الأرانب لنمّدنها، ولنقل أننا نفتح العالم بغزواتنا المتحضرة، لنقل بالجمل الواسعة، إن سُرَر النساء تنتهي عند بني عذرة، وإن الإله الطيب يفعل نحن، وإن لنا صدوراً كالعذارى من الداخل، إن الأشياء تتوالد من رَحْمِها، لنقلْ يا إلهي إنك تزرع الأسيد والقمح، وتعطينا الماء مخلوطاً بالدود، والفلاحون الذين يشربونَ دود العَلَقِ ويتبرزون في سهول القرى، الذين يعيدون إنتاجهم، وبرازهم الطحيني، ويستقبلون إلههم الطيب، ويستقبلون البقر، والجِمال، والبدو الذين يضعون الخلاخيل في أنوفهم، ويغادرون صامتين منفاهم الأزلي، والذين ينبحون على نسائهم في القبور، ويجلسون بينها في

أول لـــــيلة للأموات، ويبكون على صـدور الموتى، الذين يسـهرون، ويعـدون اســتقبـالاً حـافلاً للمزركش والمزين، للقرى التي تئن من الذباب.

ليس عندي إلا عصـــاي أهشّ بها على قلبي، وليس عندي إلا المرايا، أدعو صديقي الحضاري، وأرى ذاتي في سالف العظمة، ليس عندي إلا أظافري وأشيائي التي أتغنى بها عن السواد، والقمل، والصئبان،

إنني أرفع يديَّ حـاملاً الذكـــرى العزيزة للبـــدوِ، للنـــوقِ، للجلَّةِ، وللأديمِ، وللملحِ المشـــترى من البوَّارةِ، يحمله البدو مع الصُـــفّيرِ، ويمرقون على الإله، ويتطلعون إليه بعينٍ واحدةٍ، ويســــــــتقبلون نساءهم كما الموتى، للبدو يرفعون أكفهم يندبون الإله الطيب.

الرقة

14 /12 /1981

أفول نجم الدكتاتور

كالطودِ على أرضٍ رخوةٍ، يتداعى،

حيث أفوله يشـــبه النطفة العقيم، تلد المورثات ـــــ الصـــبغيات، جماجْم، أقحاف رؤوس، ورفائيَّ أدمغةٍ.

ما كان يشبه أحداً من نسل الماموث، أو «أبو عامر»، يلتذ بفريسته، كالموتى في أحلام الأحياء، تشرئب الأعناق إليه من اللحدِ، وتصطك الأسنان كصرير الباب الشتويِّ، معلنةً بدء المرسوم الأول، ينشره الجلواز على الأكوام البشرية، ينثر ما بين الأسطر أظافر برؤوس مدببة، ويضع في الأعلى جلد القنفذ، وفي الأسفل ثوب الحية، حيث تخلعه في الصيف، وتتعرى في مستنقعاتنا القروية، دلالةً على الترفيه الاستهلاكي، حيث كنت أخاتلها، لنرمز للمصالحة الأممية ما بين الحيوانات الزاحفة وبيننا في الصراة الآسنة، حيث تتحوط الأخيرة دولتنا الفتية.

الأشقياء كنا والموتى، حيث تطغى المسافة، فتلتوي الأقدام، صانعة للرؤوسِ تأشيراتها، تتبدل الأقسام لكي تعلن اختلاطها البنيوي، تفرز المعثكلة صدأ الصليل القديم، الحرة تأكل بثديها، وتبيع قطع اللحم إلى (شايلوك)، ترتسم أمام الحزن الشمولي صورةٌ للقلاعِ القديمةِ، وإذ تأتي الحكومة رافعةً فحلها، ترتعش القراب اللامعة، وتصطفق الأيدي للانتعاش، بينما تمتط الرقاب لنقض البلاغة الإمامية.

أطلَّ بالضحكة المستريبة، وحيّا الموتى، وأقعى ككلبٍ خاسرٍ في الرهان الأنثوي، وشَافَه التوابعَ بعد تأكيد قَفْزِ الفحولةِ، وكنا نناديه:

«يا طائر الشوحةِ، المقبرة لا تدخل أرحامنا..»

وبسـط يديه ككلب الكهف، غير أنه ما كان ذا بياضٍ، وما كنا ظلالاً للحقيقة، فقد كنا في خضـمّ اللّجَّةِ، وكان ينفخ على الشـمس كي يطفأ نور الله، فتقدم الجنين، وتناوشَ ثدي أمه، فتناوشـتْه رماح المنصـةِ، واسـودتِ الأثافيَّ وطرْقَعَتِ الصحون المسـتديمةُ، ورفعَ الشوكة الحضاريةَ، وتصاعدتِ الأبخرةُ من البركان الآدميِّ، وبحّرَتِ الأعينُ على الشاشةِ، فالوليمة ابتدأتْ، تروح الصواني، تؤوب، وتأتي محملة بالجماجم، مُتَبَلَةً بالضمائر، لا الصُبْحةُ العروسية مثلت، ولا النادبات، فقد اسـترخى الخمول على لفيفِ الشـجرِ، وأبى المسـتضـعفون جمود النهارات، تأتي القوافي مرنمةً للأمير الجليلِ، وتتمتم الشـفاهُ الرهيفةُ بالعزةِ السـرمديةِ لشـخص الجلالة، والذؤابة تندب في عالم الوهم، والقَذَالُ الرخيصُ يبدأ تشتته حيال المفازة، ما أكبر العزيمة الآدمية.

يتدفق الملح من الجلد، لكي تؤوب الصواني بمصل الثريدِ، ونشمر الرُدْنَ على بعد ليلٍ، نسابق أنفسنا، ونشكل الحلقة المستديمة، نتدور كالهالةِ حول طَشْتٍ أهلكته الأصابع، وغرقى كنا في الصراة المستنقعية، للثريدِ المستفحلِ الوباء، حيث تتداعى الأمراض المتوطنة في خطة الدولة التنموية.

ما ضــرَّكَ لو أنَّ الأطفال تســتدر حليبها، وتصــنع من الأرجل جلود ضفادع، تستفتي الأحكام عن رؤيا الجنين للعملية الفاضحة، وعن وحي المتصوفة، وتعشق التوحد، ومزج الزبدة باللبن، كــما الروح في الجســد الدنيوي، نعني ما نعنيه عن الأشــفار الزغبية للشــرقيات، وعن الغابات المتهدلة في الأعضــاء النقيضــة، يتكســر (دور) الجبن، ليتحلل كما الله في النقاء الأولي، والجرذان تتطلع كـــمجرم في طورِ البداية، حيث تخلف حبوب الحنطة، ينبشــها الناس في (ســنة الجوع)، ويروون نكاتهم الأزلية مع الدلال والقهوة المرة العربية، و (البية): القمار القرويُّ في أول أشكاله بعد حل النقيض.

وبعد أن لوّحَ بكلتا يديه، نزل القلب إلى روث المعدة، مفكراً بمقعده السافل، تاركاً شرايينه كطير الحبارى، ويأتي لحفل الغداء، ثعابين للسم، وطفلين كمليكي موت، يؤازره مهرجه الهزيل، ويَفْتَرُّ عن بسمة للصغير، ويمشي هازاً ذيله الاصطناعي، مقلداً سعدان الحديقة، فصاح:

«ما أنا بالقرَّادِ».

فارتعد المسكين، ونفرتِ الخادمات إلى مكان التغوط.

تميس كالخيزران الأصــيل، باعثة شــجوها للخليقة، مرخمة كابن آوى، ترانيم العواء الغرابي على أنَّ مراثيَّ رَثَتْـهُ، «والنـادبـاتُ نحْنَ عليه ســنة إثر ســنة»، وبكيته كذئبة فقدت جروها، كان يشــهر خنجره في الوجوه السائدة، ويستحلي شجر العجوة، وعندما نقلوه في المحفة، تقول النادبات: كل زوج رســـــــــا على «الجوديِّ» ناحَ كاليتامى، وحتى الطيور بكتْهُ.

في أيامه الأولى كان كفرسٍ شبقةٍ، يستطيع أن يستحلي رعاياه، ليبني كالزير قصر الجماجم، كان في حده الأدنى يصنع أنشوطة رخوة، كي يُسْقِطَ قتيله حياً، كالصغار يداعبون القطط الصغيرة، كنت أذكر مؤامرة الأشقياء، حيث نلتذ بالقتل، لكن الجريمة تكبر، تشير إلينا العصيُّ الغليظة: سنقتلكم كما العصافير.

كـــانت الشـاشـة ترسـم ابتسـامة عميقة، تفتر عن ضحكة، حيث بـانـت الأســـنـان، ورأينـا رؤى العين ملاعـب للجثـث تتكون كحطـب القطن، خيوطـاً كمـا التلافيف الموجودة في دمـاغ القردة، حيـث تمسخ الكلاب إلى آلهة، وتتحول أصـابع الإنسـان السـالف إلى قرون عصــية لبقْر الحوامل، تســتكمل الحلقة دورتها البشــرية، محملة بالوباء الأصـفر، يقال أن يأجوج ومأجوج ينتشـــــرون، وأن الأفاعي تسترحم بنيها، وأن البيضة تأكل الرجل، لكي تتناسل.

كمن صُبَّ عليهِ أسيدٌ، تفسَّخ لحمه، وقد أعلن بدايته في الأواخر، كان يبحث عن الفيء، كمن مسه الكَلَبُ، ويصيح بسُعَارٍ غليظ، الضحايا تصيح به، وكالطنين القويَّ، تجيش ذاكرته بالقلاع، والصليل، والصدى، وطيور العنقاء تحثو التراب على الجثة، تنادي ثأر الأوادم.

الرقة

06/ 03/ 1982

صلاحيات ولي العهد

ما خبا نجمه، عندما ارتقت الطوائف ســـــلمها الحجريَّ، وأسـلمت زادها لذهن الرئيس، ونشــرتْ عِرْضــها لبوازي القصــور، تتداولُهُ كجســدٍ مباحٍ، وســاعة انطفاء مجد الأميرِ، وخبوّ تألقه، كانت ليلةٌ أخرى من السـفك تبدأ فالتذاذ المضـاجعة، حين سـلك أمير القتل، تلبَستـه الحكاية.

يا أمير كيف تبحث عن الحقيقة؟ كـــــيف تكســـر حاءها الأولية، وتربط تاءها في الأخريات، وتدّورُ ما بينهما، وتضع النقاط؟ وأشـباح الخليقة؟ أما ســاورتك النفس، على اجتلابها بين صـــيدك الوافر؟ أيام مزاميرك القصبيات وحواري الجنان المنسابة كشهد عند انبلاج النهار، وشاعرك المخمور يردد:

للصــبايا المشـــاكســـات، طعم الخرنوب المفاجئ، لمذاقهن طراوة المدامع عند الرحيل.

أيامك العصيبات عندما كنت شاهينة للعصابة الطفلية، ومصائب الليالي ترسم على جمدانتك الرثة لعبة العود الطائش، وانفجر ضحكهم عالياً وأنت تبحث عنه بين براز أصدقائك الشياطين، وانزويتَ كأبرص نفرته العشيرة، تاركاً أصابعهم الوسطى تتحرك، ذامَّة شعر حَقْوَيْكَ المبكر.

ابتهالات تمجيد النسر الصغير، متى الرخمة تخطف أولاد الأشباح؟ متى نتخرش بالجدري؟ وجوهنا، ومسـامات العقل، ما بين الجنبين، وعلى الشعر المعنقد، على القوائم الفخارية، تتسطح بثور الشرى، كقطع الغيم المحمرة عند الغروب، ثم تتبدل إلى اســــــوادٍ، كأنها بصدد هبوط الليل.

حكاية «لأبي عمايةَ»، القارضُ الترابيُّ، الذي يؤلف من العجاجةِ، قبة هشة، لاصطياد الفرائس، إذ كان يتهادى، شارداً، كأبلهٍ عركتْهُ السنون، وعرَّجَ على «أبي جُعْلٍ»، ورأى زوجه الخنفساء تُدَرْهِبُ كرة من البراز الآدمي، وفاجأها بصوته القريضي:

«ما لنسائنا يكدرن صفو الحالم، يجاملن كرة أرضية من المخلفات».

وانتفض جارهم «ساحب الذيل» ثائراً للكرامة النسغية، وصاح بصوته الانتخابي:

«لو رأيتَ حذاء الأمير المخرم بالعظم، لأسْتَشْرَسْتَ كقاتلٍ سُدَّتْ عليه المنافذ».

«في سبيل تدوين أمجاده، تختفي طغراؤُهْ الأميرية، وطرته الريشية المصبوغة بألوان البابونج، في سبيل السجل الحافل، تأتي العلوم ساجدة:

علم المعاني، علم الذبائح، علم الفراسة الجهنمية، لاستنباط مخصييه الطيعين، علم القيافة لانتقاء الأعلام البيض، التي توضع فوق خيمة البغي الجاهلية، علم التفرس في الإهلالات البشرية لعالم المحتضرين، علم الأنساب للعشائر العفدليّة التي تعلن طاعتها القبلية، وتقبل الخنجر في سبيل ردع البدو المناقضين للّهجة القروية، علم الاستشعار عن الأجنة الساجدة في بطن الوالدة، علم الدلالة والقرائن البينة للحقوقيين المَهَرة، علم الاقتصاد الشعري لمدح الأراضي الأميرية، علم الزينة البدوية، إذ يصطبغ بولُ الناقةِ بالقَذَال البدوي لكي تعلن توهج القمل، العلم الأستي لتمجيد خلفية الأمير المضطربة، فوق شعب محرّم بخرز الإبر الصينية،

يا علم الأمير، لو تدري ما الفاقة التي تأكل الرؤوس، لو تدري بالأظافر التي اصطفت لتلج الأست الحنبلي للجنابة الإسلامية.

يا علم الأمير، ما تدري بالشواهد التي ارتفعت، تعلن انحباس الحجر الداخلي.

مجَّدناك يا علم الأمير، ومنحت نفسك صلاحيات الخنق».

باحثاً عن ورق الحمّيضِ العريضــيِّ، لتندية التبغِ، حيث تصــطف النراجيل العشــائرية، ممجدة عبيد الأمير، وتأتي الشــواهد نافرة في المســـامات العقلية، بادئة بذب القبائل الســـالفة، إذْ كان يأتي الإعرابيُّ، يقود البعير، وينادي بحدائه العهدي:

(يا حادي العيس، هل تاهت بك...)

وأناخ بعهده القديم يجمجم بالمعراج

«يا أمير المؤمنين، ما بال الطوائف تنبجس كالسماد المتهيل».

تأتي قشــور الرمان المســتورد، دابغة جلد الخروف، مخلوطاً بحجر الشــبة، للنصْــعِ ميادينه، وكذلك للأنوفِ المخرمة، إذ كانت شــقق شــعر الماعز المنســوج تمتد مصــطفة كالجنود المدججين، تلظم ما بينها خيوط شَــعْريـةٌ كالجـدائـل البـدائيـةِ، وتتربعُ عيـدانُ البردي المســتنقعيةِ، على الحجر المتخالفِ، صــانعةً ســواراً أهلياً لبيت الشَــعْرِ، مُطْرِفَةً عن الربعةِ الغنميةِ، حيث تلد أطفالها المشــوهين، مُستفيدةً من الحليب الذاهب إلى الاحتيال المديني.

«يا أمير المؤمنين ما بال الطوائف تنبجس كالسماد المتهيّل».

دقت الأصـابع رفوفها الخيطية، وطارت سِـكَّةُ البيتِ، دلالة الرحيل الرعوي، جـالبـةً حمير القرى الصــغيرة، والبغـال الإبراهيميـة العقيمـة، لنقـل الجلائب الكلئيـة، قـاصــدةً نحو مـاء الطفولـة، إذ انبجس النبع كما الإله الحلاجي، مبهراً بالوجد عشــيق الصــوفية، دافعـاً للقبـائل ريقها العطِش، إذ تتنـاغم الأصــوات الغنميـة، مع الرغـاء الصــدْئي للخراف المحليـة، التي تختلط بـالأذنـاب الطويلـة لغنم الأناضول، هادرة كالأمير، يرفع رقابنا،

ونناديه:

«يا أمير المؤمنين ما بال الطوائف تنبجس كالسماد المتهيّل».

تَهَرَّأْتَ من القندريسِ المحوَّطِ بالقرى، من أفاعي الماء المستحبة لأجسادنا، نتفاداها بالعيون التراخومية، وبالرَمَدِ الغنائيِّ، بالأظافر الهالكة لشد عصى الرحى التراثية مدورة فوق بعضها، طاحنة الغداء التراتبي للأفواهِ القريضيةِ.

كســـرتَ العصـــا القبـائليـة، دلالـة الهجوم العنفي، ولم تســـتمع للنصيحةِ العدوة، وعنفت الأجسـاد المخملية، حاملاً كبتك البدئي، معلناً ولـوج القضــائب العشــائرية، وعندما شــاهدتَ فعال الأمير، جفلْتَ كبعيرٍ شـاهد السـكاكين، إذ كانت تأتي وفـود الكفار القروية، شـــاهدة على التلطيف الحضـــاري للغرائز الهيغلية، معلنةً الندب الحلقي، لجنازة أمير البدو إذ نشـــرت فرنســـا بواريدها الحضـــارية، مؤازرة بيرق البـدو، مولـدة في النقيض الإقتتالي دولـة البـداوة، حيث تشهد القبور نداء الجموع المستفحلة الصديدي:

«يا أمير المؤمنين، ما لك تقصد السفك، وتجند الأجنّة لحرب الطوائف. يا أمير، يا أمير، ما بال الطوائف تنبجس كالسماد المتهيّل».

الرقة

1982/ 04 /10

طغيان رمل الموت

تحيةً لموالي الولاية، لأدعياء الحكم الجمهوري، للنسـيبِ الشـعريّ يكتبه أجدادنا الجاهليون، في أذهانهم، للخط المهترئ المحفوظ في سجلاتهم المتداولة، كذلك لسلالات الرمل، وموت «الحِمْري»، ونبات الزعفران البري، يمتشقه الجاهليون لتبرئة حزاز الوجه.

إننا نتجه إليك، ونيمم شطرنا صوبك، يا رب الرمل، ورب الصحراء، ورب الأرباب، يا من تسدل النعم كما تسدل العذارى ضفائرهن الانسيابية، إليك يا رب الأرباب هذا النشيد الموتي، تتعاوره ذاكرة الطفل الذي ما خلقته إلا لتمجيد الفناء، ورهبنَةِ الموت، وإسدال المسح الجنائزيّ على الأوراق المهشمة، إليك النشيد، النشيد..

النائم يغفو كالميْتِ، هكذا رأته البصــيرة، ورشــقت حصــاها عليه لتغطيسهِ في حِمى الرمل، لتأليهه في مدى المسافة، وتليينهِ للمسحةِ الكفنيةِ الأخيرةِ، لاحتضاره ضمن هَدْرِ الجموعِ، وتنمية شـــاهدته القبرية، ترشُّ عليه أرملتهُ الترابَ النديَّ، وتَذبل أشواكه، لكي تشرع ملذتها الدنيوية، واضــعة في نســيانها الرجل الغريب الذي مَرَّ، واحتضنته صخور الرمل العقيمة.

النشيدُ الرمليُّ لقاعِ الحجرِ، لأرض صَفْصَفٍ، لطير البومِ، لخرائبه الأرضــية، للعجائز المكتهنات ســر الحكايا، وســر المغامرة الأولية، لســيل (قره موخ) الفياض، تنبحه الكلاب، مجتنبة هياج الماء الأحمر الكدِرْ. هَلَّتْ سيول الطغاة، مزنرة بالقيود القلبية، وسلاسل الأوردة، رافضة شرايينها، وقفزت على أنشوطتها الواردة إلى خرائب البوم، إلى أَكَمَـةِ المســافة العقيمة، والبعدُ الذاكريُّ عن مرابع الإذْلالِ الطفوليّ، وانهيار انبهارات الروح، قبال تورّم الأشـياء، وتكتل الاقتصاد الوحشي.

أمـامـكِ يـا ربـة الـروح، تنحني الإهلالات إجلالاً، وتغمسُ خبزهـا المسـيحي في الخمرة الضـحلة، وتتعشـى على خبز الشـعير القدسـي للديانة المحمدية، باذلة أحشـاءها لتأليهك، لصـونك اللانهائي أمام غزو الأسـنة الحضـارية، واخترامِ النفس كالغرابيل المائية، وقلت، وقلت أمامك يا ربةَ الروح، نحتضر ونشهق شهقتنا الاحتضارية.

هذه العلامات الخبيئة، دونتها لتمجيد الرمل، لتمجيد ما لم تمجده النفس، وأقبعتها الكمائن الكثبانية، لشـــل قدرة حبائل الطغيان، لكن أحداً منا ما كان يعاتب أشـــباحه، أو يرائي ســـيادة الآلهة الاصـــطناعية، وما أحداً منا كان يلوث الرمل بيديه المائديتين، غير أن التباشـــير جاءتنا بالإنذارات التابوتية، لحمل الأجنة على كف المواسم.

اهتدى إلى المقابر، والنفس قادته إلى الرمل، وقادته إلى تباريح أشواقه الجنائزية، وربتت على كتفيه، وأسجت لنفسه أشباح الرمل، والكثيب لما يقفز، والملائكة على جنبيه تحاسبه على الكلام المباغت، وحالفه صمته الحجري، ونادى النفس أن:

«اصمتي،

فنحن في حضرة الروح».

فتحت باب المراثي، وما مجدتك المرائي، وأثقلت نفســـها بالمعاني النقيضـــة، وما برحت تشـــفي غليل الجنائز، وما أسرتك بالعيارات الطليقة، فأنشأتَ مرثية للمراثي، ونواحاً يتيماً لشـــدو إشـــباعات الكائن، وشُـــدَتْ على شـــاهداتهم الرملية، قبرك الرملي تقول، تقول المـــــراثي، وما رثتك الروح فانبثق الرمل لتمجيد الأحجار البابلية، لشدو الروح وتمجيد الصخور.

حلب / الرقة

نيسان 1982

تاريخ الجمجمة

الذي قال لي:

كيفَ هي الدولة المقبلة؟ كيف حال الضحايا الأنيقين مثل الجلالةِ؟ أما زالوا حزانى علينا كالميتين القدامى؟ أفي الوجوهِ الحديثةِ آثارنا؟ والرمالُ الأنيقة تسـفونا كالرياحِ الخفيفةِ، وَقْعُ أيدينا عليها؟ وَقْعُ أسماعنا المُذأبَهْ، بغتةً:

اسـتقبلتنا الجماجمُ، احتفتنا الجحافل مثل السـيول التي تذبح الأرض، وأنا الذي رافقتني الأميراتُ المسـناتُ، وأنا الذي رافقتني أميراتُ الجماجمِ، وأنا الذي أصلحتُ وضع الأميرةِ على سدة العرشِ، وأنا الذي باغتّها ضاحكاً بالعبارات الرسوليهْ:

أنتِ التي لا تنحنين إلا للفحولةِ، أنت جمجمة نُحْتُ عليها مثل نوحي عليَّ، أنت التي سـاقوك قرباناً على مذبحي، أنت التي ناوشـتْني عذاباتي بيدين من لازورد، أنت التي باركتِ خصـب العفونة، أنت التي باركتِ سيفي، أنت التي بللتِهِ بالدمعِ، وأنا الذي حرباً على حرب البَسوسِ.

أغمدتُ سيفي

أغمدتُ سيفي،

وقلتُ:

لا تنتشلني من يدي فأنا الغريق، خاطبت جمجمةً، ضحكتْ

قالت كالذي مات:

لم لا تنتشـلني، أنـا الـذي أروي التراب، ويرتويني، أقتـاتُ منـه ويقتتيني، متعايشيْنِ كالطيورِ الأليفةِ،

مرةً: عينيَّ واسعتين، قالَ،

قلتُ: ألا تُحجّ

قالَ: لا. دودٌ يزوركِ، تآكلي أرجوكِ وانقلبي ترابا.

فبكيتْ، بكيتْ، بكيتُ أنهاراً من العفن الأكيدِ، فازدهر الدودُ القبريُّ والحشيشُ القديمُ والدولةُ الراقدةْ، حَشْدٌ يموجُ:

ها هي الأرض تنهضُ من براثنها ها هي الجمال تصافح مستقبلها، ها هي الطائراتُ الجميلةُ تودعنا قبرنا الأصغرَ، ها هي الحياة تغلق أبوابها وتقول وداعاً، ها هي الجماجم العائليةُ تضحك ضحكتها المسرحيةَ، ها هي الكلمات توحي بالذي يُوحى ولا يُوحى، وها هم القدامى يستعمرون الرأس الذي صاحْ:

افتح قبورك، شُقَّ صدرَ الأرضِ كالحبلى، انفسخْ: أرفسْ ضحيتك الأخيرةَ، ومثل منتقمٍ عظيمٍ، اشربْ دَمَهُ، أرجوك أنْ تنخر عظامك مثل دودِ القبرِ في العمل الرتيبْ، وارقص كمجنونٍ عتيدْ، وأولمْ ولائم مثلها ما كان أو ما لم يكن، وادعُ محّبيكَ الجماجم يجلسون على موائد من ضحايانا، وادْعُ المزامير القديمة والتراتيل الحديثة.. ودّعْ مطار الأرضِ وارحلْ عن جماجمنا التي استعرتَ من غيظها المكظومِ.

تبغي الدم المســـفوح دوماً في مطارحها، وصـــحنا (لا ندري نحن أمِ الجماجم):

لم نرتو، ولم نشفِ الغليل ولم نقل:

سلاماً على الذي ماتْ، والذي سيموتْ، ما عاد أحبابنا مثلما كانوا، ولا رجَّعَ الزمانُ صـــدى آهاتنا الحرّى على قومٍ قضـــوا نَحْبَهُمْ بين الجماجم، ولم نخن مواثيقنا مثل بني إسرائيل من أهلِ الكتاب، وما قدسنا الأصاغرَ وفتات الجماهيرَ، وما عرَّجنا وبصقنا على وجوههم

جزاء دفننا المتخلفِ، وما استَنْبَتْنَا المدائح النبويةَ لشخصه المبجلِ، وما اعتلينا عروش الأنثى كالزناةِ الجُلافِ، غير أننا تباركنا بالذي:

بالذي حام علينا كالرحى، بالذي يخطف كالنسـر بما نقتات، بالذي وجّـهَ قتلاه على ذبح الفرائسْ، والـذي اقتـات فُتَـاتَ الخبزِ والقلـب الرديءْ، بالـذي نافحَ عن حكم العشـــائرْ يوم ما كنا فرادى وقبائِلْ، كانـت الأشـــيـاءُ تقعي بـارتخـاءْ، والقرى كانـت تزدهرُ بـدولِ البـدو والبـابونج، وتعـانق الأفـاعي المزدانـة بـالبرجوازيينَ والســـمَّ، وتحيي الرجال الصائحين كصيحتي:

«لا تبتئسْ، فأنا صديق القادمين من الخراب».

الرقة

حزيران 1984

إضاءات للنصوص

الغُرنوقُ الدَّنِف

الغُرنوقُ:

طائر نهري له أنواع متعددة، وعلى ضفاف البليخ حيث عاش الشاعر كان النوع الموجود أبيض اللون، له منقار متين وطويل ويعلو رأس بعض أنواعه تاج من الريش. يتميز بسلوكه الاجتماعي الوطيد ويعيش عيشة جماعية منتظمة. على الرغم من توفر وسائل الأمان متمثلة في قوة أسرابه العددية فإن الغرنوق طائر شديد الارتياب والاحتراس لدرجة أن أحد أفراد سربه يقف بانتظام كالخفير لحراسة رفيقاته.. عندما يخيم الليل تختار الغرانيق أماكن يتعذر على غيرها بلوغها وذلك للمكوث فيها حتى الصباح.

كان الشاعرُ عبد اللطيف خطاب يُكنى بالغُرنوق، وكان هذا الاسم شائعاً له.

الدَّنِف:

لغة، هو المريض إذا اِشْتَدَّ مَرَضُهُ وَقَرُبَ أَجَلُهُ. دَنِفَتِ الشَّمْسُ: مالَتْ إلى الغُروبِ. دنِف العاشقُ: تهالك في حبّه فمرض. أما طبيّاً فهي حالة تتمثل في هزال وضعف في العضلات وفقدان الوزن الشديد والدهون من الجسم، وتؤثر على الأشخاص في المراحل المتأخرة من الأمراض الخطيرة كفشل القلب الاحتقاني وأمراض الكلى.

والشاعر في استخدامه للعنوان «الغُرنوقُ الدَّنِف» يقصد الغرنوق المضنى بالعشق وقد دنى أجله كما ويشير لحاله الصحية.

العربو - الجندو:

يرد العرب في النصوص الآشورية بهذا الاسم. كان التوسع الآشوري قد امتد في القرن التاسع ق. م إلى بوادي الشام وضغط على ما في جنوبها من مناطق التجمعات العربية. وحاولت دويلات المنطقة أن تقف في وجه تقدمه بتكوين حلف كبير انضم إلى هذا الحلف فيمن انضموا إليه ألف راكب جمل من رجال جنديبو أريبي (أو الأريبي). ويعتبر باحثون لفظ جنيديبو تحريفًا لاسم جندب أو جندبة. ذكرت شيء من هذا نصوص شلما نصر الثالث الملك الآشوري في عام 853 ق. م.

ابن ماجد:

أحمدُ بنِ ماجدٍ (1418-1501م) ملاح وجغرافي عربي عُماني، برع في الفلك والملاحة والجغرافيا، واشتهر بأنه من قاد ڤاسكو دي غاما إلى الهند. أطلق عليه البرتغاليون (بالبرتغالية: Almirante) ومعناها أمير البحر (الأميرال)، ويلقب بـ«مُعلم بحر الهند».

البليخ:

نهر يَنبع من جوار حرّان من قرية عين العروس الواقعة على مسافة ثلاثة كيلومترات جنوب مدينة تل أبيض، في محافظة الرقة بالقرب من الحدود السورية التركية الحالية ويصب في الفرات بجوار مدينة الرقة.

الواسطي:

يحيى بن محمود الواسطي (من القرن الثالث عشر الميلادي) رسام وخطاط عربي، اشتهر بفن المنمنمات الإسلامية، ويُعد أحد أهم مؤسسي مدرسة بغداد للتصوير، وأشهر الرسامين العرب في أواخر العصر العباسي. ولد في بلدة واسط في جنوب العراق بداية القرن الثالث عشر الميلادي، خطَّ نسخة عام 1237م من مقامات الحريري وزينها بمائة منمنمة من رسومه تعبر عن

الخمسين مقامة، وكان عمله هذا أول عمل في التصوير العربي يُعرف اسم من صنعه.

صحراء الدّوّ:

صحراء واسعة مستوية. وقديما كان يطلق على الصحراء الواسعة التي تقع في الشمال الشرقي من المملكة العربية السعودية وجزء من دولة الكويت. الدَّو في المعاجم: الفَلاة الواسعة، وقيل الدَّو الأرض المستوية.

أوروك [الوررقاء] Uruk:

مدينة سومرية تقع أثارها حالياً على بعد 15 كم شمال السماوة في العراق. وفترة أوروك (4000-3100 ق م) عصر امتد من فجر التاريخ والعصر النحاسي بداية العصر البرونزي في بلاد الرافدين. أتت هذه الفترة بعد الفترة التي أطلق عليها العُبيد ثم تلاها عصر جمدة نصر. في هذه الفترة بدأت مناطق حضرية تنشأ في بلاد الرافدين. وصاحبها نشوء الحضارة السومرية في القرن 34 ق م، حيث بدئت ملامح نشوء الكتابة تظهر في بلاد سومر بعد أن كانت الكتابة على شكل رسوم مسمارية، في تلك الفترة بدأت تتشكل بعض المدن وكانت تحوي حوالي 10000-20000 شخص في تلك المدينة.

أور:

مدينة سومرية كانت عاصمة بلاد سومر عام 2100 قبل الميلاد. وكانت مدينة بيضاوية الشكل وتقع على مصب نهر الفرات في الخليج العربي قرب إريدو إلا أنها حاليا تقع في منطقة نائية بعيدة عن النهر وذلك بسبب تغير مجرى نهر الفرات على مدى آلاف السنين الماضية. اشتهرت المدينة ببناء الزقورات التي يعتقد أنها معبد للآلهة إنانا آلهة القمر حسب ما ورد في الميثولوجيا السومرية. تشيد الزقورات من الطوب المصنع أو اللُبن.

بنات النعش:

قسّم العرب النجوم إلى قسمَيْن: شمالية وجنوبية، الأولى هي الواقعة شمال خط الاستواء وتدور حول قطبها وهو «الجدي»، والجنوبية عكس ذلك، وأشهر النجوم الشمالية «بنات النعش» و«الثريا» وأشهر الجنوبية «سهيل».

الآريون:

مصطلح استخدمته الشعوب الهندو إيرانية في العصور القديمة كتسمية ذاتية، على عكس الشعوب «غير الهندو الآرية».

الزُحار:

التهاب واضطراب في الأمعاء، وخاصة في القولون، يؤدي إلى إسهال شديد يحتوي على الدم.

قُباب الطّين:

عمارة بيئية لمنازل معتمدة على الطين والطوب شائعة في قرى مدينة الرقة السورية وهي تتميز بجماليتها ورخص ثمن تكلفتها.

دنيازاد:

هي شقيقة شهرزاد الصغرى. كانت دنيازاد تحضر لمخدع أختها كل ليلة لتوديعها قبل أن يقتلها شهريار في الصباح التالي، وكانت في كل مرة تطلب من شقيقتها رواية قصة أخيرة. في ختام ألف ليلة وليلة، تتزوج دنيازاد من شاه زمان، شقيق شهريار الأصغر.

مسرور السَّياف:

سّياف الملك شهريار، كان يحب قصص شهرزاد، ويرجو سيفه في كل ليلة ألا يذبح نِحر شهرزاد الذي هو من أجمل النحور.

الحرسي:

واحد الحَرَس، وهم الجند، يرتَّبون لحفظ الحاكم وحِراسته.

الطواسين:

تضمين لمفردة «طاسين» التي أراد الحلاج أن يغوص من خلالها نحو الحروف، التي هي المادة الأولية في اللغة، فجعل فصول كتابه (طواسين)، أي أن كل فصل منها (طاسين)، مستفيداً في ذلك من الدلالة الصوتية العميقة، الناشئة من جمع حرفي الطاء والسين؛ وناسجاً في الوقت ذاته على منوال النص اللغوي القرآني باعتباره المجلى الأصلي لصياغة الكلام الإلهي صياغةً عربية. والشاعر هنا يورد «طاسين» الصوفية، الذي ليس مدرجاً في طواسين الحلاج، بل يستفيد من مفردة «طاسين» فقط لتضمين طواسينه الخاصة.

كنز الصابئة:

كنزا ربا، ويعني باللغة الآرامية المندائية: الكنز العظيم. هو الكتاب المقدس الرئيسي لدى الديانة المندائية والتي يطلق عليها الباحثون الصابئة المندائية تفريقا لها عن الديانة الحرّانية التي تتبع الإله سين الإله القمر الحرّاني، التي أُطلق عليها الصابئة الحرّانية، ويتألف الكتاب من 18 كتاباً في 62 سورة تقع في حوالي 600 صفحة.

لوقا السوري:

هو لوقا الإنجيلي، وبحسب أوسابيوس القيصري ولد في إنطاكية، وفي التقليد المسيحي كان واحد من الرسل السبعين. يُعتقد بأن لوقا هو كاتب سفرين من أسفار العهد الجديد «إنجيل لوقا» وسفر «أعمال الرسل»، وفي التقليد الكاثوليكي يُعتبر شفيعا رئيسيا للأطباء والرسامين، فقد كان يمتهن الطب ويُظن بأنه كان رساما وبأنه كان أول من رسم أيقونة للسيدة العذراء مع الطفل يسوع.

الورّاقون:

جمع ورَّاق؛ وهو الرجل الذي يحترف الوراقة، وهي مهنة كانت شائعة في البلاد الإسلامية في العصور الوسطى، وكانت تقوم آنذاك مقام مهنة الطباعة والنشر. تشتمل على أعمال النسخ والتصحيح والتجليد والتصوير والخط وتذهيب الكتب وبيع الورق والأحبار وسائر أدوات الكتابة.

الرهاويون:

نسبة إلى مدينة الرها، وهيَ مدينة في الجزيرة الفراتية، كانت عاصمة مملكة الرها شبه المستقلة منذ العام 132 قبل الميلاد وحكمها العرب الأباجرة وسقطت تحت الحكم الروماني المباشر عام 242 وقد كانت عاصمةً لمقاطعة الرها. كانت المركز المبكر الأهم للمسيحية السريانية. وكانت كنيستها ومدارسها اللاهوتية تتبع تعاليم نسطور إلى أن حُرم كنسياً فأغلقت كنيستها وانتقل رهبانها إلى نصيبين التي شهدت نهضة مسيحية وفكرية وانتشرت منها المسيحية وفقا للمذهب النسطوري إلى عموم آسيا.

نسطور السريان:

نسطورس بالكتابة اليونانية ولد عام 386 م بمدينة مرعش في الجزيرة الفراتية وتربى في إنطاكية وهناك ترهّب بدير أيروبيوس، وتتلمذ على يد المفسر الكبير ثيودوروس المصيصي، اختير بعدما تم تعليمه وبعد دراسته للكتب ليكون شماسًا ثم قسًا في كاتدرائية إنطاكية، واشتهر بفصاحته وقوة عظاته. كان متكبراً ومعجباً بنفسه ولكن مع ذلك فإن العديد من الناس قد أحبوا هذا الغيور الشجاع الذي حاول ما في وسعه لإزالة جميع أشكال الهرطقة في الكنيسة، درس اليونانية ومبادئ العلوم في مرعش ثم تشبع بمبادئ مدرسة إنطاكية اللاهوتية، لذلك اختاره الإمبراطور ثيوذوسيوس الثاني ليكون بطريركًا على كرسي القسطنطينية قبل أن يتم تجريده وحرمانه وقد تنيحَ في صعيد مصر.

شمشون العبري:

هو شمشون بن منوح الدني، من شخصيات العهد القديم، بطل شعبي من إسرائيل القديمة اشتهر بقوته الهائلة وورد ذكره في سفر القضاة في الإصحاحات من 13 إلى 16، وفي الرسالة إلى العبرانيين من العهد الجديد في الإصحاح 11، وقد شاعت قصصه في القرن الحادي عشر قبل الميلاد.

سيدوري:

هي شخصية في ملحمة جلجامش. وهي «صاحبة الحانة» أنثى ذات حكمة ألوهية مرتبطة بالتخمير؛ وعلى وجه التحديد: البيرة والنبيذ.

برصوما الزامر:

برصوما الزامر إضافة زلزل الضارب، هما من سواد الكوفة، قدم بهما إبراهيم الموصلي سنة حجّ إلى بغداد، ووقفهما على الغناء العربي، وأراهما وجوه النّغم وثقّفهما حتى بلغا المبلغ الذي بلغاه من خدمة الخلفاء، ومنهم الخليفة هارون الرشيد.

النبايا الصغار:

إشارة إلى لأنبياء الصغار أو الأنبياء الاثني عشر (باليونانية القديمة: δωδεκαπρόφητον)، وهي عبارة عن مجموعة من الكتب النبوية، المكتوبة في الفترة ما بين القرنين الثامن والرابع قبل الميلاد تقريبًا، وهي موجودة في كل من التناخ اليهودي والعهد القديم المسيحي.

حبرون:

وفقًا للعهد القديم، حبرون (بالعبرية: חֶבְרוֹן) ابن قهات وحفيد لاوي، وهو شقيق عمرام وعم هارون ومريم وموسى. يُصور حبرون في النص كمؤسس لسبط اللاويين. ومع ذلك في بعض المناسبات، يعامل سفر أخبار الأيام الأول حبرون ونسله على أنهم متميزون عن باقي أحفاد قهات.

أرميا:

أحد أنبياء بني إسـرائيل. هو أرميا، وقيل: أرمياء، وقيل: يرميا، وقيل: يرميه، وقيل: رميا بن حليقا، وقيل: حزقيا من سـبط ابن نبي الله يعقوب عليه السلام، وقيل من سبط هارون بن عمران أخي موسى بن عمران.

شاماش:

شاماش أو شمش أو شماش وهو الاسم الذي كان يطلق على إله الشمس عند السومريين والبابليين والآشوريين.

أورفيوس:

كاتب وموسيقي إسطوري إغريقي ونبي في الديانة اليونانية القديمة وفي الميثولوجيا الإغريقية. تم تأليف عدة قصص حوله وحول حياته، وقد قيل أنه ألف عدة أغاني لأجل زوجته يوريديس من العالم السفلي الإغريقي. تعلم العزف من أبيه ابولو فأصبح بعزفه يجتذب الحيوانات وحتى الجماد من حوله لتستمع لألحانه. كتب عنه شعراء رومانيين مثل أوفيد وجوفينال.

الكنّارة:

الكِنَّارَة هي آلة موسيقية وترية اخترعت واستخدمت في وقت سابق في الحقبة السومرية، نحو 3000 قبل الميلاد، في بلاد الرافدين.

الصِّلُّ:

هو نوع من الثعابين السامة يتميز بلونه الأسود اللامع من ناحية الظهر أما بطنه فلونه أغبر، الرأس أعرض من العنق نسبياً والجسم أسطواني طويل وقد يصل طول الحيوان البالغ إلى أكثر من متر.

قُبةُ ويس:

هي مزار في الرقة لــــ أويس بن عامر المرادي (594م -657م): أحد النســاك العُبّاد المقدمين، من سـادات التابعين. أصـله من اليمن، من بلدة ردمان. ورد في صـحيح مســلم «إنَّ خيرَ التَّابعينَ، رجلٌ يُقالُ له: أُوَيسٌ، و له والدةٌ هو بها بَرٌّ، لو أقســم على الله لَأَبَرَّه، و كان به بياضٌ، فمُروه فلْيَسْــتَغْفِرْ لكم»، وفي الرقة يتبارك بها الناس وطلاب الحاجات ويســتخدم الرقّاويون تعبير «وحياة قبة ويس» كقسم أحياناً إذ يحلفون بها.

عبداللطيف خطّاب
[الغُرنوق]

شاعر من الرقة التي على الفرات

ولد عام 1959م في قرية «طويلعه» على ضفاف البليخ شمال مدينة الرَّقة. درس الاقتصاد في جامعة وهو من مؤسسي «ملتقى جامعة حلب الأدبي» الذي تأسس في الثمانيات وكان بمثابة مختبر شعري. نشر ديوانه الأول «زوال أمير شرقي» في سلسلة دار رياض نجيب الريس الشعريّة عام 1990 وصدرت طبعته الثانية عن دار جدار للثقافة والنشر عام 2024. نشر نصوصاً ومقالات في عدد من الدوريات والصحف العربية. توفي في مشفى المواساة في دمشق 2006م إثر خطأ طبي.

صدر ديوانه «الغرنوقُ الدَّنِف» عن دار جدار للثقافة والنشر 2024 وضم آثاره المعروفة غير المنشورة: «الغُرنوقُ الدَّنِف»، «سفر الرمل»، «أور: زقورات الحماد»، «ترجمان النوم»، وقصيدة بعنوان «هايكو صحارى الجنون» وقصيدة «جثتي هيّابة» غير المكتملة.



ونامَ على رأسِ الجبلِ، ففاض السيلُ، وجرفَ الناسَ مَعَهُ ونجوتَ أنتَ، ورافقتَ الأعور بحذرٍ، ولم تنمْ جَنْبَهُ، فوضعْتَ، فزّاعةً، وراقبتهُ، فضربَ الفزَّاعةَ، فعرفتَ خيانتهُ، فقتلتهُ.

وترفعُ صوتكَ الوجداني، في عالم خالٍ من النصائحِ، وتتذكر الحكايات، وتسمعُ صوتاً ريفياً، وتتذكرُ الأغاني، لا الرقصُ جاءَ، ولا عالمك الترفيُّ ذاك بدا. كنت تهز رأسكَ كالمجنونِ، وعندما جَرّوكَ إلى وسط الساحة، بدأتَ تنسجُ الرقصَ، فتفتحُ فاك الفاغر تقلدُ أصوات الدببة، وكان الضحك يتعالى من وسط الأكوام الأنثوية السوداءْ.

ABDUL LATIF KHATAB

THE COMPLETE POEMS

9 781326 214111

Jidar
Culture & Publishing